

الأمن في حياة الأنبياء

الأمن في حياة الأنبياء

(عليهم السلام)

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [سابقاً]

عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٢٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النشر

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم

الأمن في حياة الأنبياء (عليهم السلام). / عبد العزيز بن إبراهيم العُمري..

الرياض، ١٤٢٦ هـ.

١٢٧ ص، ٢١×١٤ سم

ردمك: ٩٩٦٠ - ٤٩ - ٦٩٢ - ٩

١ - قصص الأنبياء ٢ - الأنبياء آ. العنوان

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٢٦/٦٠٥٦

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٦٠٥٦ ردمك: ٩٩٦٠ - ٤٩ - ٦٩٢ - ٩

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ص.ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥

هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ - ٢٧٤٦٦٨٨، فاكس: ٢٧٥٩٠٢٠

E-mail: azizomary@hotmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع	
٦	المقدمة.....	١
١١	التمهيد.....	٢
١٣	الأمن في حياة آدم <small>عليه السلام</small>	٣
٢٠	هود <small>عليه السلام</small>	٤
٢٤	صالح <small>عليه السلام</small>	٥
٢٩	إبراهيم <small>عليه السلام</small>	٦
٣٥	لوط <small>عليه السلام</small>	٧
٤٣	شعيب <small>عليه السلام</small>	٨
٤٧	يوسف <small>عليه السلام</small>	٩
٧٥	موسى <small>عليه السلام</small>	١٠
٩٣	داود وسليمان (عليهم السلام).....	١١
١٠٥	عيسى <small>عليه السلام</small>	١٢
١١١	عامة الأنبياء.....	١٣

١١٥الخاتمة	١
		٤
١١٧المصادر والمراجع	١
		٥

المقدمة

إن تاريخ الإنسانية مليء بالشواهد والدروس المرتبطة بحياة البشر على هذه الأرض، ولعل قضية الأمن تعد أحد الشواغل الأساسية لحياة البشر مهما اختلفت أجناسهم ومستوياتهم وتعددت مذاهبهم. فهو ضرورة قصوى لا غنى للبشر عنها بأي حال من الأحوال.

وللحفاظ على الأمن في المجتمعات البشرية وجدت شرائع خاصة وأنظمة مختلفة تعلن أنها تكفل لهم العدل والمساواة وتوضح لهم حقوقهم وتبين واجباتهم مع اختلاف مصادرها وخروجها عن هدفها أحياناً، بالإضافة للأجهزة الأمنية العامة التي تمارس عمليات ضبط الأمن وما يرتبط به في المجتمعات، كما وجد إحساس أمني عام لدى الناس نحو قضايا أمنية مختلفة، وقد اهتم الناس بالتأريخ لحياة المجتمعات البشرية ولبعض الأحداث المرتبطة بالأمن في حياتهم، وهذا التاريخ اجتهد فيه الكتاب عبر العصور وفي الحضارات المختلفة، فكانت لهم مصادرهم المتعددة للبحث في موضوعات الأمن عبر التاريخ، وعرف المسلمون في ثقافتهم العامة التاريخ للمجتمعات البشرية وما يرتبط بحياتهم منذ القدم، بل منذ خلق أبونا الأول آدم عليه السلام، وكانت لهم مصادرهم في بحث

تاريخ الحياة البشرية وما يرتبط بها من القضايا الأمنية وتاريخها، وقد برزت قضية الأمّن من خلال الحديث عن قصص الأنبياء (عليهم السلام) فكانت للمسلمين مصادرهم الموثقة للبحث في الموضوع وعلى رأس تلك المصادر (القرآن الكريم) كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن المعلوم أن القرآن الكريم كتاب تشريع وهداية وهو أيضا مصدر تاريخي ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما يقصه الله علينا من أخبار الأمم السابقة هو أصدق الأخبار وأصح القصص، يعتمد عليه في معرفة الماضي ورسم الحاضر وتصور المستقبل، فكانت قصص القرآن دروس وعبر لكافة الناس وللعقلاء منهم خصوصا المفكرين بألبابهم وعقولهم، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١) [يوسف].

ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (من الآية ١٠٠) [هود].

ويقول تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (من آية: ١٠١) [الأعراف].

كما أن في روايات الحديث الشريف الكثير من الأخبار عن الأنبياء. حيث كان يضرب بهم رسول الله ﷺ المثل لأصحابه، لينالوا من علمهم ويتأدبوا بآدابهم.

يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩) ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠) [طه].

كانت حياة الأنبياء محطات هامة في تاريخ البشرية عبر ألاف القرون وعبر حضارات متعددة، وأزمنة متفرقة، ولذلك فإن المؤرخين المسلمين يفيضون في الحديث عنهم في موسوعاتهم التاريخية، ويدخلون في تفاصيل دقيقة عن حياتهم والأحداث التي رافقتها، وهم يستمدون أدلتهم وشواهدهم مما ورد في القرآن الكريم عنهم، كما تعد مصادر أهل الكتاب من اليهود والنصارى وخصوصاً أسفار العهد القديم وشروحاته مما يستأنس به في هذا المجال إذا لم يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ولم يتعارض مع ما عرف من طهارة الأنبياء وثباتهم على الحق وعدلهم وإنصافهم، فهم المصطفين الأخيار (عليهم السلام) وبالتالي ينبغي الوقوف على بعض ما نسب إليهم والدفاع عنهم. والباحث في تاريخ الأنبياء يواجه مشكلة تحديد تواريخهم بدقة رغم محاولات المؤرخين

المسلمين القدماء والمحدثين وما نقله أهل الكتاب ومحاولات بعض المؤلفين المعاصرين، والجزم بتواريخ معينة هو من أصعب ما يواجه الباحث، خصوصاً أن الأدلة قد تكون غير قاطعة في مثل هذه الجوانب.

وقد ميزت الأمة تاريخ الأنبياء قبل الرسول ﷺ بعلم خاص ودراسات مستقلة فصلتها في تاريخها وقصصها عن ما يرتبط بحياة النبي ﷺ وميزت تاريخ الرسول ﷺ بما يعرف بعلم السيرة والمغازي، ولذلك فإنه لا يدخل ضمن هذا البحث حديث عن سيرة المصطفى ﷺ وما يرتبط بها من قضايا أمنية، لأن هذا موضوع مستقل بذاته يحتاج إلى أبحاث متعددة.

وهذا البحث محاولة لمعالجة القضايا الأمنية في حياة الأنبياء قبل الرسول ﷺ ابتداءً مما تعرض له آدم ﷺ مروراً ببعض الأنبياء ومنهم هود وصالح وإبراهيم وموسى وسليمان (عليهم السلام) وختاماً بـعيسى ﷺ، وقد تناول البحث لدى هؤلاء الأنبياء وقصصهم مفهوم الأمّن وكونه نعمة من الله وأسباب ذهابه وطرق الحفاظ عليه والجرائم التي ذكرت من خلال قصصهم وطرق التحقيق والعقوبة على الجريمة إلى غير ذلك مما يرتبط بهذه القضية، وأحب التذكير أن هذا البحث سبق نشره في العدد الثاني والثلاثون بتاريخ شوال ١٤٢١هـ،

لمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. إلا أنني رأيت نشره مستقلاً في كتاب ليستفاد منه أكثر خصوصاً أننا في العالم الإسلامي نعيش مشاكل أمنية كثيرة وفتن عظيمة نسأل الله أن يقينا وبلادنا وسائر بلاد المسلمين شرها.

فلعل المساهمة في دراسة هذا الجانب عن حياة الأنبياء تعين على التوجه الصحيح لنظر الأمة وتأصيل هذا الجانب في حياتها والمساهمة في فهم الأجيال لحرمة الدماء ونعمة الأمن، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله المستعان.

التمهيد:

الأمن: في اللغة العربية يقصد به نقيض الخوف، وأصله طمأنينة النفس ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٤) [قريش].

ومنه قوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا ءَامَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤) [يوسف].

وتأتي الأمانة بمعنى الاطمئنان والرخاء والراحة والبعد عن الخوف.

ويقال للبلد آمن إذا كان أهله مطمئنين غير خائفين. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (من آية ١٢٥) [البقرة].

كما يقال للرجل أمنت. أي بعد عنك خوفك وما كنت تخشاه.

وذهاب الأمن عن رجل بذاته أو عن بلد بعينها يقصد به توقع مكروه يخشى منه.

ويرتبط بها (الأمانة) وهي نقيض الخيانة ويقصد بها الحفظ والحراسة والثقة.

كما يرتبط بها الإيمان، ويقصد به الخضوع لله تعالى والسير على شرعه وما أمر به واعتقاده يقيناً وتطبيقه عملاً، ومن كانت هذه حقيقته فهو المؤمن.^(١)

وقد صارت القضايا والحوادث المرتبطة بأمن الناس وما يصاد ذلك من ترويع وتخويف تعرف بين عامة الناس بأنها قضايا وحوادث أمنية، وعرف هذا الأمر عبر العصور المختلفة، حتى صارت هناك أجهزة معينة وأناس مختصون بهذا الأمر،

(١) راجع: ابن منظور، لسان العرب ج ١٣، ص ٢١، الزبيدي، تاج العروس ج ٩، ص ١٢٧، مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط ص ٢٨.

وأمن الإنسان على حياته وعرضه وماله وكافة شؤونه من الأمور التي لامست تأريخ الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد سجلت الآيات القرآنية والروايات المختلفة حديثية وتاريخية في حياة الأنبياء العديد من القضايا التي يمكننا اعتبارها، مما يرتبط بالأمن في حياتهم بمفاهيمها المتعددة عبر عصور التاريخ البشري.

الأمن في حياة آدم عليه السلام:

إن أول قضايا الأمن التي تواجهنا في قصص الأنبياء ما ورد في القرآن الكريم عن آدم عليه السلام ومصدر الحديث عنه في القرآن الكريم، فقد كانت الملائكة تخشى بوجود آدم وذريته من الفساد في الأرض وسفك الدماء فيها،^(٢) ولكن الله سبحانه وتعالى يعلم ما لا تعلمه الملائكة وهم خلق من خلقه يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠). كان يعيش في الجنة بأمن وأمان، لا

(٢) انظر: الراجحي، آدم، كما تحدث القرآن، ص ٤.

يخاف شيئاً من الفزع ولا من النقص في حاجاته،^(٣) ومع هذا الأمّن الذي يعيشه فقد كان مهدداً بفقده في حال المعصية لأمر الله واتباع الشيطان وأوامره المفسدة التي تورث غضب الرب، وما يتبع ذلك من خوف وذلة، وتفاصيل تلك الحوادث هي كما قصها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه العزيز: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْتَقِيَ﴾ (١١٧) *إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى* (١١٨) *وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى* (١١٩) *فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى* (١٢٠) *فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى* (١٢١) *ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى* (١٢٢) [طه].

لقد كانت الشجرة في الجنة محرمة على آدم بأمر الله سبحانه وتعالى وهو الخالق الحكيم المنظم لحياة الناس وأمره هو الشرع والنظام، وبالتالي فإن الأكل من الشجرة يعني الخروج على شرع الله ونظامه وتعد للحدود التي وضعها الله

(٣) انظر: إلى الموضوع الخاص عن حياة آدم في الجنة في الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٥٦. ابن الأثير، الكامل ج ١، ص ٣٢ ابن كثير، قصص الأنبياء، ج ١، ص ٧٧. الفقي، قصص الأنبياء، ص ٢٢.

لهذا النظام،^(٤) وبالتالي استحق آدم ما أصابه نتيجة عمله فأهبط إلى الأرض، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الكريم محذراً بني آدم من طريق المعصية والخطيئة والفتنة يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) [الأعراف].

لقد أنزل آدم عليه السلام إلى الأرض وأخذ الترويع يدخل حياته وصار يخاف من العدو الأول إبليس ويخشى على أبنائه من الوقوع في الجريمة أو اعتداء بعضهم على بعض، نتيجة وجود دوافع الجريمة المختلفة، وبالفعل وجد الدافع للوقوع في أول حوادث القتل البشري على الأرض، حادثة قتل قابيل لهابيل،^(٥) لقد كان دافع القتل الأول بين الأخوين التنافس على المرأة، وقد أورد ابن كثير تفصيلاً لذلك حيث روى عن ابن عباس: (أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى وأن هابيل

(٤) الراجحي، آدم، كما تحدث القرآن، ص ٤.

(٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٦٨ - ٦٩. انظر: الثعلبي، قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، ص ٤١. وانظر الفصل الخاص بهذه الحادثة عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٩٢.

أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هايبيل وأخت قابيل أحسن فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانا، وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السموات على بنيه فأبين والأرضيين والجبال فأبين فتقبل قابيل بحفظ ذلك فلما ذهب قريبا قربانها فقرب هايبيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردىء زرع، فنزلت نار فأكلت قربان هايبيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين).^(٦)

وفي ثنايا تلك الحادثة يمكننا أن نرى الفرق بين الأشخاص حيث أن هايبيل كان رافضاً للاعتداء على أخيه مهما كانت الظروف حتى ولو أنه اعتدى عليه ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) [المائدة].

(وقوله له لما توعدته بالقتل لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنني أخاف الله رب العالمين دل

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٩٣.

على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله).^(٧)

كما يمكن من خلال الأحداث المصاحبة لتلك الجريمة أن ندرك بعض ما يرتبط بالجريمة في حياة البشر، حيث نعرف دوافع الجريمة ومنها المنافسة على المرأة فكم من حادثة وقعت بين الناس كانت المنافسة على المرأة سبباً فيها، كما أن من أسباب الجريمة الحسد والحقد الأعمى، حيث لم يكن عند قبايل سبب وجيه للاعتداء على أخيه فقد كان الأخ مسالماً بعيداً عن الاعتداء على قبايل بالإضافة إلى أن حصول هاييل على من ولدت مع قبايل للزواج منها هو الأمر والنظام والشريعة في زمن آدم عليه السلام^(٨) ومع ذلك فقد غار قبايل من أخيه هاييل وحسده على ما كان حقاً طبيعياً له.^(٩)

كما أن قبايل كان يبيت قتل أخيه، عازماً على ذلك يقول ابن سعد: (لما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج البطن الأول

(٧) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٦٩. الثعلبي، قصص الأنبياء (عرائس المجالس) ص ٤٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٩٣. عفيف طيارة، مع الأنبياء، ص ٥٤. حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ١٧.

(٨) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٧٠.

(٩) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٦.

البطن الثاني والبطن الثاني البطن الأول يخالف بين البطنين في النكاح وكانت أخت قابيل حسنة وأخت هاويل قبيحة فقال آدم لحواء الذي أمر به فذكرته لابنيها فرضي هاويل وسخط قابيل وقال لا والله ما أمر الله بهذا قط ولكن هذا عن أمرك يا آدم فقال آدم فقربا قربانا فأيكما كان أحق بها أنزل الله نارا من السماء فأكلت قربانه فرضيا بذلك فعدا هاويل وكان صاحب ماشية بخير غذاء غنمه وزبد ولبن وكان قابيل زراعا فأخذ من شر زرعته ثم صعدا الجبل وآدم معهما فوضعا القربان ودعا آدم ربه وقال قابيل في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا، لا ينكح هاويل أختي أبدا فنزلت النار فأكلت قربان هاويل وتجنبت قربان قابيل لأنه لم يكن زاكي القلب فانطلق هاويل فأتاه قابيل وهو في غنمه فقال لأقتلنك.^(١٠)

كما أن من أسباب الجريمة في هذه الحادثة الشعور بالفشل فقد تقبل الله من هاويل ولم يتقبل من قابيل وبالتالي فإنه أصيب بشعور المذنب وزاد في الإصرار على الجريمة،^(١١) ولعل ذلك جدير بالدراسة والتنوية.

لم تقف جريمة قابيل عند قتل أخيه بل تعداه إلى محاولة

(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٦.

(١١) طبارة، مع الأنبياء في القرآن، ص ٥٣.

الاعتداء على أخته في البطن وهذا اعتداء آخر وخلل أمني آخر، وقد نتج عن إخلال قاييل بالأمن أن أصبحت حياته مليئة بالخوف فقد روي عن ابن عباس قال: (لما قتل قاييل أخاه هابيل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل إلى الحضيض، فقال آدم لقاييل اذهب فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه).^(١٢)

لقد كانت حادثة القتل الأولى في البشر هي حادثة قتل هابيل، ومع تكاثر ذرية آدم وزيادة نسله وتسلسل أبنائه وأحفاده وكثرت الشعوب والقبائل والامتداد البشري في كل مكان، تكاثرت الجرائم وتكرر الاعتداء على الآخرين ونزلت الشرائع السماوية لتقييم العدل بين الناس مع التذكير بالجريمة الأولى ما تبع صاحبها من عقوبة والوعيد على من يقع فيما وقع فيه قاييل من عقوبات إلهية في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢) [المائدة].

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٧. انظر: رشدي البدرابي، قصص الأنبياء في التاريخ، ص ٢٨.

وعقب الله سبحانه وتعالى على تلك الآيات بتقرير حكم الحرابة في الشرع وجزاء المفسدين في الأرض بقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) [المائدة].

وفتح الله سبحانه وتعالى باب التوبة والإصلاح لمن رجع إلى طريق الحق من هؤلاء بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٤) [المائدة].

وهذه الأحكام الشرعية المتعلقة بأمن الناس في أرواحهم جاءت تبعاً للحديث عن الجريمة البشرية الأولى وقتل النفس الأولى في القرآن الكريم.

وقد أخبر الرسول ﷺ بمسؤولية ابن آدم عن انتشار حوادث القتل في الأرض حيث أنه هو أول من سنها فقال ﷺ فيما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ عنه قال: قال ﷺ: (لا تقتل

نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول
من سن القتل).^(١٣)

هود عليه السلام :

لقد بعث الله نبيه هوداً عليه السلام إلى قومه عاد وهم من العرب
البائدة،^(١٤) وكانت مواطنهم في الأحقاف جنوب الربع الخالي
مما يلي عمان وحضرموت،^(١٥) وقد سميت باسم بلادهم سورة
من سور القرآن الكريم سورة (الأحقاف).

وكانت لهم مدينة عظيمة تسمى (إرم)^(١٦) وهي الواردة في
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ دَاثِ
الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾ [الفجر].

(١٣) البخاري، صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء (باب خلق آدم وذريته)،
ج ٤، ص ١٠٤.

(١٤) هادون العطاس، عاد في التاريخ، ص ١٥، وانظر: جواد علي،
المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٩٩-٣١٠.

(١٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١١٥، البكري، معجم ما
استعجم، ج ١، ص ١١٩. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ١،
ص ٢٦. اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٢٢. عبد الوهاب النجار، قصص
الأنبياء، ص ٧١. جواد علي، المفصل، ج ١، ص ٣١١. البدرائي، قصص
الأنبياء والتاريخ، ص ١٤٨.

(١٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٥.

عاش قوم عاد قبل الهجرة بقراية ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وقيل أكثر من ذلك،^(١٧) وقيل أقل بكثير،^(١٨) ويؤكد القرآن أنهم أقرب الأمم إلى عصر نوح ﷺ قال تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦٩). [الأعراف].

كان قوم عاد أهل حضارة مادية مميزة^(١٩) فعندهم قوة في الأجسام، وتجميع للقوى، مما أوجد عندهم قوة ضاربة، كما أنعم الله عليهم في بلادهم بالثروات والتقدم في العمارة^(٢٠) وهو ما أشارت إليه الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنْ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا

(١٧) هادون العطاس، عاد في التاريخ، ص ٧٧.

(١٨) انظر: د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن (١) في بلاد العرب، ص ٢٦٠. وقد جعل عاد بعد قوم صالح ثمود وقبل إبراهيم ﷺ مباشرة.

(١٩) انظر: هادون العطاس، عاد في التاريخ، ص ٦٩. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب، ص ٢٤٢.

(٢٠) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١١٠.

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ
 مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
 جَبَارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ
 بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَاتٍ
 وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا
 سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا
 خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) ﴿الشعراء﴾.

لقد دفعتهم قوتهم وأموالهم إلى ظلم الآخرين والاعتداء
 بغير حق والإفساد في الأرض^(٣١) وهو ما أشار إليه قوله تعالى:
 ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ
 مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
 وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١٥) [فصلت].

لقد كفر قوم عاد وجحدوا نبيهم ولم يؤمنوا، وكان
 للمترفين منهم دور في تزعم الإجرام والكفر والطغيان
 والفساد في الأرض ويشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ

(٢١) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١١٠. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٦٠. ابن
 الأثير، الكامل، ج ١، ص ٨٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٢١.
 البدراوي، قصص الأنبياء، ص ٤٨.

مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ
 وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا
 لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا
 أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هِيَ هَاتِ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ
 إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ
 انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْـبِحَنَّ
 نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُتَاءً فَبُعْدًا
 لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ﴿﴾ [المؤمنون].

هكذا كانت النتيجة لهؤلاء الكفار المعاندين الذين
 كانوا يفسدون في الأرض ويعتدون على الآخرين، ولذلك فإن
 ظلم الناس والإعتداء عليهم إنما هو من أخلاق الكفرة
 المتكبرين الذين لا يؤمنون بالله ولا بأليم عقابه في الدنيا
 والآخرة.

صالح عليه السلام:

بعث الله نبيه صالحاً عليه السلام إلى قومه (ثمود)، وهم من سكان بلاد العرب،^(٢٢) وقد عاش قوم صالح على أقرب الآراء قبل الميلاد بقرابة ألف وخمسمائة سنة،^(٢٣) وكانوا يقطنون في بلاد الحجر والتي سميت باسمها سورة (الحجر) في القرآن الكريم، وكان قوم صالح يعيشون فيها وطناً آمناً توفرت فيه أسباب العيش المختلفة وتسمى حالياً بـ (مدائن صالح) وقد مر بها النبي ﷺ أثناء مسيره إلى غزوة تبوك.^(٢٤) يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ

(٢٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١١٦. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٨٩. المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٤. جواد علي، المفصل، ج ١، ص ٣١٠.

(٢٣) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٧٩، وانظر مناقشة د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن (١) في بلاد العرب ص ٢٨٠، وإن كان يرى أنهم كانوا بعد إبراهيم عليه السلام، والذي يبدو أن الذين عاصروا إبراهيم وعاشوا بعده بقرون هم من ذرية من نجا مع صالح عليه السلام.

(٢٤) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي (باب نزول النبي ﷺ الحجر)، ج ٥، ص ١٣٥. ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٢١. الإمام أحمد بن حنبل، المسند ٢، ص ٦٦. الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥، ص ٦٤٤. السندي، التبر المسبوك في مرويات غزوة تبوك، ص ٤٣٠.

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضْرِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحُدُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُبُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) ﴿ [الشعراء].

لقد كان قوم صالح في رغد من العيش آتاهم الله الموطن الصالح وجعل فيه من الخيرات والنعم ما يبسر لهم سبل العيش، حتى أصبحت حياتهم آمنة مستقرة، وكان هذا الأمن نعمة تميز بها مجتمع ثمود بالإضافة للنعم الأخرى المختلفة،^(٢٥) ومن هنا جاء تذكير صالح لهم بهذه النعمة وتخويفه لقومه من فقدها بكفرهم وظلمهم أنفسهم في قوله (أتركون فيما ها هنا آمنين)، وحذرهم من الكفر وعصيان أمر الله والاعتداء على حدوده وأنهم بذلك سيخسرون دنياهم وأخرتهم، وقد اعتدى قوم ثمود على الناقة التي حذرهم نبيهم من قربها ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا

(٢٥) البدرابي، قصص الأنبياء والتاريخ، ص ٣٧.

بِسُوءِ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ [الأعراف]. فظلموا أنفسهم وعصوا أمر الله، وعقروها.

وقد يتبادر إلى الذهن أن عاقر الناقة شخص واحد لكن الواقع أن القوم كلهم شاركوه الجريمة إما بموافقتهم إياه على إتيانها وتعاونهم معه في ذلك وإما بسكوتهم على الجريمة ونظرهم للمجرم يقوم بجريمته ولم يحاولوا إيقافه عن تلك الجريمة وبالتالي عمتهم العقوبة يقول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾ [الشمس].

كما يتبين من قصة صالح أن هناك جماعة من المتغطرسين المتكبرين الذين يتعالون على أوامر الله ونواهيه وهم أجرأ الناس على الظلم بسبب تكبرهم وعنادهم وبالتالي فقد أقدموا على الجريمة فكانوا أجرأ من غيرهم عليها.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا

يَا صَالِحُ اثْبَتْنَا بِمَا تَعِدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنْ
الْمُرْسَلِينَ (٧٧) ﴿[الأعراف].

كما أنه مع وجود هؤلاء الجماعة من المجرمين المخالفين فإن أحدهم كان أبرز من الآخرين في القيام بالجريمة فهم يقدمونه عليهم في هذا الأمر، وهذا ما تمتاز به جماعات الإجرام حيث يكون فيهم زعيم يبادر للقيام بالجريمة ويتجرأ عليها أكثر من غيره، وكان من بينهم (قدار بن سالف) وهو عاقر الناقة^(٢٦) الذي كان أكثرهم جراءة عليها.

﴿كَذَبْتَ ثَمُودُ بِطَفْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾ [الشمس].

كما أن مما يزيد المجرم إقداماً على جريمته تكرر الجريمة منه وكونه من المفسدين حيث تزيد جرأة المجرم على جريمته في حال وقوعه المتكرر فيها فيقوى قلبه على إتيان الجريمة وهذا ما حصل لعاقر الناقة حيث تشير الآية الكريمة

(٢٦) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٢٢. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١١٧. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٦٨. القضاعي، الإنباء بأنبياء الأنبياء، ص ٥٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٣٥.

لاختيارهم لعافر الناقة ومناداته ليقوم بتلك الجريمة: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٢٩) [القمر].

ومن خلال البحوث والدراسات نجد كثيراً من الجرائم مصحوبة بالمخدرات أو المسكرات.

كما يتبين من الحديث عن قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود في موطن آخر وجود عصابة مجرمة تآمروا على صالح بالقتل وتعاهدوا على ذلك وخططوا ليقوموا به سرّاً ويتبرءوا من الجريمة، ويعدوا للأمر عدته للتصل من نتائجها إلا أن مكرهم انقلب عليهم فحمى الله نبيه من هؤلاء المجرمين،^(٣٧) وأهلكهم، يقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَآ يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩) ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَآ يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْتَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١) ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٢) ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا

(٢٧) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١١٧. القضاعي، الإنباء بأنبياء الأنبياء، ص ٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٣٥. البدرابي، قصص الأنبياء والتاريخ، ص ١٦٥.

يَتَّقُونَ (٥٣) ﴿﴾ [النمل].

لقد هلك الظلمة المعتدون من ثمود ونجا الله صالحاً
والمؤمنين معه.^(٢٨)

إبراهيم عليه السلام :

هو ابن لآزر ﴿وَأِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَّرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا
ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤) [الأنعام].

ويعود نسب إبراهيم عليه السلام إلى سام بن نوح، وقد ولد في
أرض الكلدانيين بأور من أرض بابل^(٢٩) قبل الميلاد بقرابة
(١٩٠٠) عام،^(٣٠) وقد نشأ في مجتمع وثني انتشرت فيه عبادة
الأصنام والكواكب، وقد حفظه الله من الشرك فكان على
الحنيفية دين الفطرة رافضاً لكل أشكال الظلم وفي مقدمتها
الشرك وهو أعظمها، وما يجره من ظلم للبشر واستغلال لهم،

(٢٨) انظر تفاصيل هلاكهم عند: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١١٨. ابن
الأثير، الكامل، ج ١، ص ٩٢.

(٢٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٤١. عبد الغني عبود، أنبياء
الله والحياة المعاصرة، ص ٤٦.

(٣٠) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٦. مهران، دراسات تاريخية من
القرآن، ص ١٢٦. كينيث كانترز وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب
المقدس، ص ٥.

وقد حاول قومه منعه من التوحيد والدين الصحيح وهددوه بفقده للأمن إن هو خالف دينهم الباطل، كما هددوه بأن أصنامهم ستوقع به الضرر إن هو تركها، فكان بينهم وبينه حوار بين فيه ﷺ ما هو عليه من دين الفطرة دين الحق، كما أوضح لهم حقيقة الأمن ومن الأولى به، وقد أوضحت الآيات الكريمة ما ذكره إبراهيم لقومه ونظرته للأمن في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) [الأنعام].

وقد كان الأمن الحقيقي لإبراهيم ﷺ حيث لم تضره أصنامهم بل هي التي لا تأمن على نفسها ولا تنفع أحداً فقد

حطمها إبراهيم عليه السلام أما هو فقد أمن من مكرهم وسلمه الله سبحانه وتعالى من شرورهم وكيدهم.

لقد كان إبراهيم رحيماً مسالماً رغم ما تعرض له من تهديد، فقد عرض على أبيه الإيمان ودين الحق والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة،^(٣١) ومع ذلك فقد جُوبه بالتهديد والوعيد بالرجم والقتل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) ﴿[مريم]

كما أن إبراهيم عليه السلام قام بتحطيم الأصنام فأحس المشركون بالفشل لعدم قدرة الأصنام على الدفاع عن نفسها، فأقاموا محاكمة علنية لإبراهيم، دعوا الناس لحضورها ليقيموا الحجة عليه، لكن الحجة قامت عليهم، وأقر القضاة بأن الظلمة هم الذين عبدوا هذه الأصنام التي فشلت في الدفاع عن نفسها، وهم من بينهم، ومع ذلك فقد كانت هذه

(٣١) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٢١. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٧.
ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٩٦.

المحاكمة ظالمة في حق إبراهيم ووضوح الحجة،^(٣٢) وبيان الحق جاء على ألسنة القضاة، ومع ذلك فقد كان الحكم ظالماً في حق إبراهيم حيث صدر الحكم بإحراقه حياً لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه من كيدهم، حيث أوقف الله سبحانه وتعالى سنة كونية عن العمل لينجو خليله إبراهيم ويأمن من ظلم الطواغيت، لقد كانت محاكمة إبراهيم عنية جمع لها الناس من كل مكان فاتضح أن الحق كان معه، ومع ذلك أصروا على عنادهم واستمروا في باطلهم، وفي تنفيذ عقوبة ظالمة في حقه، يقول الله تعالى في تفصيلات هذه الأحداث: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا

(٣٢) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٧٦. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٩٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٤٥.

بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) ﴿[الأنبياء].

لقد انتقل إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام ليعيش هناك^(٣٣): ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) [العنكبوت]، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١) [الأنبياء].

وبعد هجرة إبراهيم عليه السلام كان كريماً يتعرض الضيوف

(٣٣) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٢٤. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٢٥. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٧٩.

إنها أختي حتى يأمّن من الملك، وقد نجى الله سارة من ذلك الطاغية.^(٣٥)

لقد كانت حياة إبراهيم طويلة، كان خلالها حريصاً على تنفيذ أوامر الله ونشر دينه وتربية أبنائه على الخير والإيمان ودعوة الناس إلى الخير ومساعدتهم عليه إلى غير ذلك مما عرف عنهم ﷺ إلى أن توفاه الله في فلسطين ودفن بها.^(٣٦)

لوط ﷺ :

كان لوط ابن أخ لإبراهيم ﷺ^(٣٧) ومن المؤمنين به ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) [العنكبوت].

وقد هاجر لوط مع إبراهيم إلى بلاد الشام إلا أنه أقام في

(٣٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٥١.

(٣٦) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٦١. الثعلبي، قصص الأنبياء،

ص ٩٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٣.

(٣٧) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٢٤. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٢٥.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٤٩.

قرية سدوم^(٣٨) إحدى البلدان القريبة من بيت المقدس في تلك الفترة، وقد بعث الله لوطاً ليكون نذيراً لأهل هذه القرية التي كان أهلها يعملون مختلف الجرائم الدينية والخلقية والمالية، فقد كان أهلها يمارسون الشذوذ الجنسي (اللواط)^(٣٩) حتى أصبح ديدن حياتهم يجاهرون به في كل مكان يقول تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِيَّاكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)﴾ [الأعراف].

ويقول تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)﴾ [النمل].

(٣٨) يرى الكثير من المؤرخين أن سدوم قرية قوم لوط تقع أسفل البحر الميت ولمعرفة المزيد عنها انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٧٢٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠١.
(٣٩) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١١٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٠. العهد القديم، سفر التكوين، ص ١٩. وانظر: كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥٢. عبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٤٩.

ويقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)﴾ [الشعراء].

وكان عملهم لجريمة اللواط جهاراً نهاراً أمام بعضهم البعض في أماكنهم وأنديتهم العامة ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَتِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)﴾ [العنكبوت].

وهم لا يكتفون بعمل اللواط فيما بينهم بل يؤذون من ينهاهم عنه ويجبرون من يمتنع منهم على الوقوع فيه،^(٤٠) فكانت بينهم جريمة اللواط والاعتصاف وايداء من يصلحهم وينهاهم عن الجريمة.

(٤٠) الطبري، تفسيره، ج ١٠، ص ٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨١. الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٢٠١.

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (٨٢) [الأعراف].

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) [الشعراء].

ويقول تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (٥٦) ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ﴾ (٥٧) [النمل].

ويقول تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (١٦٨) ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٧٠) ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (١٧١) ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ (١٧٢) [الشعراء].

كانوا يعتدون على عابري السبيل فيقطعون عليهم الطريق ليعتدوا على أعراضهم ويسلبوا أموالهم،^(٤١) وقد نهاهم نبيهم لوط عن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَتُنكِّمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ (من الآية

(٤١) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٥٣. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٠٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٠.

(٢٩) [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (٦٨) **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ** (٦٩) **قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ** (٧٠) [الحجر].

وهم باستمرار يعتدون جنسياً على من يقدم على مدينتهم، وقد حاولوا الاعتداء على ضيوف لوط عليه السلام (٤٢) إلا أنهم كانوا من الملائكة فحماهم الله وعذب المعتدين يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦١) **قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ** (٦٢) **قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ** (٦٣) **وَأْتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** (٦٤) **فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ** (٦٥) **وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْنَعِينَ** (٦٦) **وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ** (٦٧) **قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ** (٦٨) **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ** (٦٩) **قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ** (٧٠) [الحجر]

(٤٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٥١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨١.

لقد كانوا يعملون السيئات، وكل شيء من شهواتهم متوفر بين يديهم، ومع ذلك لم يتوقفوا عند حد معين في هذه الشهوة فصاروا يبحثون عنها فيمن يمتنع منهم ليعتدوا عليه ويغصبوه عرضه،^(٤٣) وقد وصفت تلك الأحداث في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ^(٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ^(٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ^(٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ^(٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ^(٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ^(٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ^(٨٣)﴾ [هود].

لم تكن جريمة اللواط وإتيان الفاحشة هي الجريمة

(٤٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٥٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٠.

الوحيدة عند قوم لوط بل كان قطع الطريق وإرهاب الناس والإعتداء على أنفسهم وأموالهم من الجرائم الكبرى المنتشرة بين أهل سدوم بالإضافة إلى بعض وسائل اللهو المحرم،^(٤٤) وهي مما نهاهم عنه لوط في محاولاته لإصلاحهم بالإضافة لدعوته لهم إلى الإيمان وتخويفهم من عذاب الله وعقوبته، ومع ذلك فقد أصرروا على إتيان الجرائم المختلفة والكفر بالله ودعوا على أنفسهم بالعذاب، يقول تعالى: ﴿أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩) [العنكبوت]. لقد استحق هؤلاء القوم عذاب الله الذي حل بهم، وقد دخل في العذاب امرأة لوط التي كان قلبها مع قومها والتي ذكر العلماء أنها هي التي أبلغتهم عن ضيوف لوط الليلي،^(٤٥) ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣) [هود].

(٤٤) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٥١. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٠٤. الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٢٠١. ابن كثير، البداية والنهاية، تفسير سورة هود.

(٤٥) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٥٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٠.

وهذه الجريمة الأخلاقية التي استوجب من أجلها قوم لوط ما حل بهم من عذاب هي من أكبر الجرائم والمعاصي التي توجب غضب الله وهو الذي اشتد في النهي عنها وهو الخالق والأعلم بما يصلح لخلقه، ومع الأسف الشديد أن كثيراً من المجتمعات الحديثة ذات النظم العلمانية اللادينية في أوروبا وأمريكا ومن سار على طريقتهم في التشريعات لا يرون بأساً بعمل قوم لوط، بل وأعطوا ترخيصات رسمية للأندية التي ينتمي لها الشاذون جنسياً وأصبح بعض الزعماء يطمع في أصواتهم في الانتخابات رغم ما دلت عليه الأبحاث العلمية الواضحة من التأكيد على إن الشذوذ الجنسي هو أهم أسباب انتشار مرض الإيدز في العالم الذي يحصد ويقعد الملايين في أنحاء العالم، فأين المشرعون من البشر من هذه الحقائق؟! وأين الحريصون على الأمن الاجتماعي والصحي في الدول الحديثة التي تزعم الحضارة والسيادة على العالم من هذه الحقائق؟ وصدق رسول الله ﷺ فيما قال حيث روى ابن ماجه: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَوْلَهُ ﷺ: لَمْ تَطْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا).^(٤٦)

(٤٦) ابن ماجه، سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ج ٩، ص ٤٠٠.

ولذلك تأتي أحكام الشريعة الإسلامية لمعاقبة من يقع في الفاحشة عمومًا وفي اللواط خصوصًا، لتكون رادعة لمن يسبب الأمراض والأوبئة في المجتمع البشري من أمراض جسدية واجتماعية، وتتناقل صحف العالم الحديث عن مرض الإيدز وما يرتبط بذلك من مشاكل أسرية، زوجية وأبوية، بل وجرائم قتل تكون في بعض الأحيان من بعض من أصيبوا بالإيدز عن طريق الآخرين فيحاول الانتقام ممن تسبب له في الإصابة بالمرض، وتبارك الله الذي خلق الإنسان وشرع له ما يصلح له في حياته الدنيا، فقد خلق الإنسان وعلم كل أحواله وشرع له ما يقيم على الحياة السليمة في دنياه وما ينجيه في آخراه.

شعيب عليه السلام:

بعث الله نبيه شعيبًا عليه السلام إلى قومه من أهل مدين، وكانوا في بلاد مدين وهي شمال غربي بلاد العرب وتعرف حاليًا بمنطقة البدع شمال غرب تبوك وتبعد عنها قرابة ١٣٠ كيلو متر. ^(٤٧)

(٤٧) انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ١٢٠١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٤. حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (شمال المملكة)،

(كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط وجاءوا بعدهم بمدة قريبة، ومدين قبيلة عرفت بها المنطقة).^(٤٨)

وتاريخ قوم شعيب في مدين وما جرى عليهم من أحداث هي بعد إبراهيم عليه السلام وقبل موسى عليه السلام يعني قرابة ألف وأربعمائة سنة قبل الميلاد.^(٤٩)

ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لِمَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٩) [هود].

وقد كان هؤلاء القوم مشركون يعبدون الأصنام من دون الله تعالى كما جعلوا لهم شجرة خصوها بالعبادة دون الله

القسم الثالث، ص ١٢٠٧. عاتق غيث البلادي، معجم الأماكن الواردة في السيرة النبوية، ص ٢٨٤.

(٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٤.

(٤٩) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ١٨٥. ومحمد بيومي

مهران، دراسات تاريخية من القرآن (١)، في بلاد العرب، ص ٣٠١.

وبذلك سما أصحاب الأيكة.^(٥٠)

ويضاف لما كان عندهم من الشرك فإن نبيهم شعيباً عليه السلام قد حاول إصلاح ما عندهم من ظلم للناس، حيث كانوا يفسدون في الأرض ويعتدون على أموال الآخرين بالغش أو السرقة أو قطع الطريق على تجارهم ونهب أموالهم بوسائل مختلفة، حيث كانت بلادهم طريقاً يعبر منه التجار إلى مختلف المناطق الأخرى،^(٥١) ولذلك فقد جاهد نبيهم في إصلاح ما عندهم من جرائم مختلفة كان أولها الجريمة والظلم في حق الله بالشرك معه، ثم ظلم الناس في أموالهم وفي أنفسهم، وكان عليه السلام جاداً في إصلاحهم، يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِيَّيْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي

(٥٠) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٦٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١،

ص ١٨٧. الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٥٢٠.

(٥١) الحليسي، المنهج الإقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب،

ص ٢٣.

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَأَنْتُمْ وَالَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبَلَةَ
الْأُولَى (١٨٤) ﴿الشعراء﴾.

ومع هذا النص فبدلاً من الاستجابة له هددوه شخصياً
ومن آمن معه بالطرد من بلادهم وحرمانهم من بيوتهم
وأموالهم، كما هددوه بالتلذذ بالرجم،^(٥٢) وهذا يعني القتل
وهي جريمة توجه لشعيب نظير إصلاحه بالتلذذ، لقد كان
شعيب يؤكد لهم باستمرار وجوب الالتزام بحق الله سبحانه
وتعالى ومراعاة حقوق الناس، كما أكد لهم أنه شخصياً
سيلتزم بما يدعو الناس إليه من الإصلاح وقد قص الله
سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ما جرى بين شعيب وقومه
حول هذه الأحداث يقول تعالى: ﴿وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَتَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ
كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا

(٥٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٨٤.

فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ
 الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
 كَارِهِينَ (٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ
 بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا
 لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ
 كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا
 قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى
 عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴿ [الأعراف].

يوسف عليه السلام:

تعد قصة يوسف عليه السلام من أعجب القصص وأكثرها
 تفصيلاً في القرآن الكريم كما تعد مراحلها من أكثر

المراحل وضوحاً وقراءة ما ورد في سورة يوسف يغني عن التفسير.^(٥٣)

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً كان ترتيب يوسف بينهم الحادي عشر،^(٥٤) إلا أنه كان أحبهم لأبيه لما اتصف به من خلق حسن وسرعة استجابة لأبيه بالإضافة لجماله^(٥٥) وخفة نفسه وورعه وتقواه منذ الصغر،^(٥٦) وقد كان يعقوب عليه السلام عاجزاً عن إخفاء مشاعره تجاه يوسف مما جعله يخشى على يوسف من أخوته ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَأَنا

(٥٣) انظر: عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٧٩. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٥٠. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١١١. وردت قصة يوسف في أسفار العهد القديم، وبسبب تحريف أسفارهم فإن القصة جاءت فيها مختلفة في الجوهر عما ورد في القرآن الكريم، انظر: سفر التكوين، الإصحاح، ص ٣٩-٥٠، وانظر: مهرا، دراسات تاريخية في القرآن الكريم (١)، ص ٧١.

(٥٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٩٧.

(٥٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٣٧.

(٥٦) صيغت قصة يوسف وما جرى فيها شعراً في دواوين مختلفة قديمة وحديثة منها ما كتبه الحمزة دعبس في ملحمة شعرية بعنوان (أكرم الناس).

تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ [يوسف]

وقد كان إخوته يغارون منه ويحسدونه رغم صلاحهم، وبالتالي ظهر بينهم دافع للجريمة والاعتداء على يوسف وهو الحسد، ومن الملاحظ أن الحسد يوجد بين الأخيار كما يوجد بين الأشرار وإن كان صفة ذميمة إلا أن وقوعها في قلب الإنسان وارد مهما كان خيراً، كما أنه من خلال الأحداث والعلاقة بين يوسف وأخوته يعد الحسد دافعاً للجريمة، رغم صلاح أخوة يوسف وتببييتهم للتوبة بعد الجريمة يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اِقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ [يوسف].

لقد تآمر أخوة يوسف عليه السلام عليه وعقدوا اجتماعاً خاصاً بينهم ليتآمروا عليه وليخططوا للتخلص منه إلا أن أحدهم كان أقل جريمة من الآخرين وأرحم بيوسف منهم فاقترح عليهم ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَوْ نَحْنُ نَسْتَشِيرُكَ لَأُقْتُلُنَّكَ وَإِخْوَتَكَ﴾ (١٠) [يوسف].

وأخذوا يرتبوا للجريمة مقدماتها حيث كان يعقوب عليه السلام حريصاً على أمن يوسف وسلامته ولا يخرجهم مع أخوته لخوفه عليه منهم لما يراه من حسدهم له وإمكانية اعتدائهم عليه،^(٥٧) وبالتالي فقد بدءوا التنفيذ المباشر للجريمة بإقناع يعقوب عليه السلام بالسماح ليوسف بالذهاب معهم، وبدءوا بعملية الإقناع بهجوم أدبي على يعقوب عليه السلام حتى يقف موقف المدافع يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا عَلَىٰ يَوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (١١) ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٢) ﴿ليوسف﴾.

لم يرغب يعقوب عليه السلام أن يظهر خوفه على يوسف منهم لكنه أرجع خوفه على يوسف من الذئب، وقد لقنهم عذراً ربما لم يفكروا فيه ولذا لجأوا إليه بسرعة وهو الذئب، وهذا يعني أمر خارج عن إرادتهم، وفي المقابل حاول يعقوب عليه السلام أن يظهر الأمن من جانبهم يقول تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (١٣) ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (١٤) ﴿ليوسف﴾.

(٥٧) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧١.

لقد انفرد إخوة يوسف بالضحية وتهيأت لهم كل الظروف لإتمام الجريمة،^(٥٨) لكن الله سبحانه وتعالى طمأنه وثبته في هذا الموقف العصيب مع تعرضه للأذى والإهانة قبل إلقاءه في الجب (البئر)^(٥٩) يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَأَيَّشَعُرُونَ﴾ (١٥) [يوسف].

أتم أولئك جريمتهم وخطأهم وبدعوا بمحاولة تبرئة أنفسهم والتظاهر بالبراءة، وصنع الأدلة المختلفة المزورة للفرار من المسؤولية وإلصاق التهمة بالذئب وتعمية الحقيقة على المتابع للجريمة وهو يعقوب عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نُسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

(٥٨) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧١. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص

١١٧. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٣٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠١.

(٥٩) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧١. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٠.

لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴿يوسف﴾.

لقد أخذ يوسف من البئر من قبل إحدى القوافل واشتراه عزيز مصر^(٦٠) (كبير الوزراء) يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلِداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)﴾ ﴿يوسف﴾.

عاش يوسف في بيت العزيز وكان شخصاً محبوباً خلوقاً خفيف النفس جميل المحيا وبالتالي كان كل من يراه في بيت العزيز يعجب به أيما إعجاب، وأبتلي يوسف بإعجاب زائد من امرأة العزيز التي عشقته وهامت به،^(٦١) وبالتالي أصبح يوسف

(٦٠) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٣. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١١٩.
ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٤١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٢. مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم (١)، ص ٧٣.
(٦١) انظر: حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٤٤.

ﷺ هدفاً لجريمة أخرى، لكن دوافعها في هذه المرة عكس دوافع الجريمة الأولى فالأولى دافعها الكره، أما هذه الجريمة فدافعها الحب الشديد الذي وصل لحد العشق والغرام، مما دفعها لمحاولة إغرائه بالوقوع في الزنا وخيانة الله سبحانه وتعالى وخيانة عرض صاحب البيت الذي استأمنه على أهله يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢) ﴿وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْثًا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) ﴿[يوسف].

لقد فر منها يوسف رافضاً الفاحشة رغم كل المغريات فهي امرأة جميلة أظهرت مفاتيحها وختت به وراء الأبواب المغلقة أيأسته من الضرار منها ومع ذلك كان فاراً بدينه وتقواه، يقول تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥) ﴿[يوسف].

لقد كانت المفاجأة حيث صاحب الدار عند الباب وشاهد

المطاردة والسباق على الباب^(٦٢) ولم يكن المشهد كاملاً والرؤية واضحة بالنسبة له، ولذلك كانت فرصة الجريمة بأن تلقي بالجريمة على البريء وتبرء نفسها لكن يوسف دافع عن نفسه يقول تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَأودَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (من الآية ٢٦) [يوسف].

لقد جاء كلام الشاهد ليذكر صاحب البيت وهو القاضي في هذا الموقف بالبيّنات في التحقيق ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (من الآية ٢٦) ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧) [يوسف].

وقد جاء الحكم على المجرم بعد اتضاح القرينة وتفحص القميص، حيث تبين أن المرأة هي التي اعتدت على يوسف وأنه بريء من التهم رغم تظاهر امرأة العزيز بأنها ضحية يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) [يوسف].

(٦٢) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٣. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٢١. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٤٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٣. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٣٥.

ويؤخذ من هذا أن القرآئن يؤخذ بها عند الاشتباه في
الدعاوى. (٦٣)

كما جاء الطلب من العزيز موجهاً إلى يوسف بأن لا
يتحدث بهذا الموضوع وأن يعرض عنه وأن تحس امرأة العزيز
بذنبها وتذكر خطأها وتستغفر يقول تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ
عَنْ هَذَا وَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ
الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩) [يوسف].

لقد ظهرت براءة يوسف عليه السلام وأتضح الأمر إلا أن امرأة
العزيز كانت تحت دوافع قوية من العشق والحب ليوسف، ولما
تعرفه من صفاته الجمالية فإنها ما أن سمعت بحديث النساء
عنه حتى أرادت أن تتعرض تلك النسوة لما تعرضت له من عشق
وحب أعمها عن كل شيء، حتى تبرر سلوكها وافتتانها
بيوسف واعتدائها عليه، وبالتالي حاولت إغواء النساء بالوقوع
معها في إيذاء يوسف وفي الدافع الذي دفعها للاعتداء عليه
ومحاولة إغواء يوسف عليه السلام والضغط عليه، وبالتالي تحقق
تبرير موقفها وتغير من الموقف، وبدلاً من أن يكون يوسف
مستهدفاً من امرأة واحدة أصبح مستهدفاً من مجموعة من

(٦٣) عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٨٧.

النساء^(٦٤) وضحية متوقعة لهذه المجموعة، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَعَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾ [يوسف].

لقد كانت تهدد يوسف عليه السلام ولذلك كان أمام شرين إما الوقوع في الجريمة والفاحشة وإما السجن ظلماً ولذلك فقد اختار عليه السلام السجن على الجريمة والفاحشة حيث كان مهدداً بمجتمع فيه خصوم كثيرة من النساء المغريات بالغواية الداعيات له يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)﴾ [يوسف].

(٦٤) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٤٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٥.

لقد اتضحت براءة يوسف عليه السلام ورأى العزيز وغيره من الآيات والعلامات ما يؤكد لهم أنه ضحية لكنهم حكموا عليه بالسجن ظلماً يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (٣٥) [يوسف].

لقد كانت حياة يوسف في السجن مليئة بالأحداث ذات الصلة بقضايا أمنية فقد كان معه بعض المجرمين وبعض المتهمين الذين لم تصدر أحكام في قضاياهم بعد وكل منهم يتوقع حكماً معيناً بالقتل أو الإفراج، وكان من بين المساجين معه متهمان من حاشية ملك مصر في تلك الفترة،^(٦٥) إنشغلت أذهانهما فيما سيصدر عليهما من حكم حيث لم يتم البت في قضيتهما بعد ويتحدث القرآن عن هؤلاء في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السُّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦) قَالَ لَا يَاأَيُّكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَأَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

(٦٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٦. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٢٦.
ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٦. حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٤٦.

هُم كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا
وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي
السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبِي
السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ
فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ
تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) ﴿يوسف﴾.

لقد كان يوسف يحس بالظلم وأنه سجن رغم براءته ولذلك
حاول أن يوسط الذي توقع أن يحكم له بالبراءة وسيعود للعمل
في خدمة الملك ليحدث الملك عن مظلمة يوسف عليه السلام (٦٦) لعله أن
يعاد النظر في قضيته، لتتضح براءته وتطلق حريته ويخرج من
سجنه يقول تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي
عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ
سِنِينَ﴾ (٤٢) ﴿يوسف﴾. لقد كان السجن صعباً على يوسف

(٦٦) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص
١٤٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٧.

عليه السلام ولذلك فقد أشار النبي ﷺ لهذه الصعوبة في قوله: (إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ أَجَبْتُ ثُمَّ قَرَأَ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ).^(٦٧)

لقد حدثت قصة ذكرت صاحب يوسف في السجن بيوسف عليه السلام لوجود حاجة إليه تمثلت في رؤيا الملك التي لم يتمكن أتباعه من تفسيرها وكان صاحب يوسف على قناعة بقدرته يوسف على تفسيرها^(٦٨) يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين (٤٤) وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (٤٥) يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سيمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون (٤٦) ﴿ [يوسف].

(٦٧) الترمذي، سننه، كتاب التفسير، سورة يوسف.

(٦٨) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٦. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص

١٤٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٨.

ورغم أن يوسف عليه السلام سجن ظلماً وأوذي واتهم زوراً إلا أنه كان على استعداد للعطاء وللنصح في وقت أوذي فيه وسجن حيث فسر لهم الرؤيا وهي مرتبطة بالمستقبل وفي الوقت نفسه أعطاهم إرشادات إدارية للتغلب على المشكلات القادمة المتوقعة يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩) ﴿ [يوسف].

لقد أحس الملك أن تفسير يوسف تفسير صادق وأنه رغم كونه في السجن بادر بالمساعدة وتقديم النصح رغم ما تعرض له من أذى مما دفع الملك للإعجاب به ولم يره بعد ، فدعا لإحضار يوسف من السجن والعفو عنه لكن يوسف كان حريصاً على إظهار براءته وأن لا يكون خروجه دون رد اعتباره وإيضاح موقف النساء الآتي اتهمنه يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠) [يوسف].

وقد دفع هذا الموقف ملك مصر إلى مزيد من الإعجاب بيوسف وبالتالي دعا النساء ذوات العلاقة بقضية يوسف عليه السلام للمثول بين يديه وأعاد بنفسه النظر في القضية وطرح على النساء أسئلة جاءت الإجابة عليها لصالح يوسف وقضيته التي أعيد النظر فيها بعد بضع سنين حيث جاء اعتراف جماعي من النساء المتآمرات على يوسف بالإضافة للاعتراف الخاص من امرأة العزيز وهي المذنبة الأولى في الجريمة الأولى وفيما تتبعها من مؤامرات النساء، ^(٦٩) كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾ [يوسف].

لقد اتضحت براءة يوسف أمام الملك وحاشيته وعلم الناس بهذه البراءة وزاد إعجاب الملك بيوسف ومكن الله له ليصبح من كبار موظفي الدولة وممن يقيمون العدل فيها: ﴿وَقَالَ

(٦٩) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٨. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص

١٤٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٠٩.

الْمَلِكُ اثْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْنُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴿يوسف﴾ .

وهكذا مكن الله ليوسف المظلوم وأعزه الله بعد ذله
ومكن له في أرض مصر بعد أن كان رقيقاً يباع ويشترى
وسجيناً محبوساً يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)﴾ [يوسف].

لقد حدثت المجاعة المتوقعة في مصر وما حولها وامتدت
آثارها لتشمل البوادي القريبة منها وخصوصاً بادية فلسطين في
المنطقة الغربية في نواحي صحراء النقب الأقرب منها إلى مصر
وهي المناطق التي كان يقيم فيها يعقوب وأبناؤه،^(٧٠) وكان
لابد لهم من الريف ومناطق الزراعة حيث كانوا يعيشون في
البدو، وبالتالي شاء الله أن يأتي بأخوة يوسف الذين سبق أن

(٧٠) لتحديد هذه المواقع انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٩. ابن
الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٥٥. مهران، دراسات تاريخية في القرآن (١)،
بلاد العرب، ص ٨٠. كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب
المقدس، ص ٩٥.

اعتدوا عليه وآذوه ليكونوا في حاجته، حيث كان في موقع المسؤولية عن أمور كثيرة في مصر في مقدمتها التموين والطعام وما يتصل به من توزيع أو بيع، ويظهر أن من عادة يوسف أن يتلثم لشدة جماله وحسنه، وبالتالي كان كثير ممن يراه لا يعرفه وهذا ما حصل لإخوة يوسف حينما قابلوه في مصر يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨) [يوسف].

ويظهر أن الطعام كان يصرف بعدد الأشخاص وبالتالي فإن إخوته حدثوه بوجود أخيهم الأصغر بنيامين وبالتالي وجدها فرصة مناسبة أن يطلب منهم إحضار أخيهم الذي ذكروه وتحدثوا عنه ولولا حديثهم عنه لما طلب منهم هذا إذ لم يكونوا يعرفون هوية يوسف حين تلك المقابلة ولعل هذا من استغلاله ﷺ للحديث الصادر من إخوته^(٧١) وهذا أمر مهم في التحقيق وفي معرفة ما لدى الآخرين، واستغلال حديثهم لاستكمال معلومات أو جر أشخاص ليساعدوا في كشف بعض الأمور، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

(٧١) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٤٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١١.

الْمُنْزِلِينَ^(٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ^(٦٠) قَالُوا سَتُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ^(٦١) ﴿يوسف﴾.

ولقد حاول يوسف أن يعطي إخوته شيئاً من الأمان والاطمئنان ليغريهم بالقدوم مرة أخرى وبإحضار أخيهم معهم ليعرف أخبار أبيه وأهله وبالتالي أعاد نقودهم التي جاءوا بها^(٧٢) يقول تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٦٢) [يوسف].

لقد نجحت محاولة يوسف لإعادة إخوته لمصر مرة أخرى وإحضار أخيه الشقيق معهم. ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتُلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦٣) [يوسف] لقد كان الخوف يراود يعقوب على ابنه الصغير^(٧٣) وحينها تذكر ما حدث لابنه يوسف وعلاقة بقية الأبناء باختفائه وبالتالي لم يأمن على الصغير منهم يقول تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٦٤) ولَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ

(٧٢) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٧٩.

(٧٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٣.

بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ
ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ [يوسف].

لقد حاول يعقوب منع أبنائه من ارتكاب الجريمة في حق
أخيهم الأصغر وبالتالي أخذ عليهم العهود والمواثيق،^(٧٤) في
محاولة منه لتحريك الوازع الديني لمنع وقوع الجريمة وهذا
الوازع من أهم موانع الجريمة، يقول تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِنْ أُنْ يُحَاطَ بِكُمْ
فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٦٦) [يوسف].

لقد كان من الواضح حرص يعقوب على كافة أبنائه،
وبالتالي حاول أن يوصيهم بما يرى فيه نفعاً لهم، وفي هذا
تذكير لهم بمحبة أبيهم لهم وأنه وإن كان حريصاً على
الصغير وخائفاً عليه فإنه في الوقت نفسه حريص عليهم
جميعاً، وعلى ما ينفعهم، فهو يخشى عليهم من الحسد، كما
أنه يخشى عليهم من التجنيد أو العبودية، وفي تحريك هذا
الشعور عند أبنائه تحريك لعوامل مختلفة تساعد في منع
الجريمة التي كان يخشى وقوعها على الصغير يقول تعالى:
﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَاَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ

(٧٤) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص
١٨٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٢.

مُتَفَرِّقَةً وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) ﴿[يوسف].

لقد كان الأخ الأصغر ليوسف بريئاً ولذلك حاول أن ينفرد به على حدة ليكون عوناً له، وليعرف منه أخبار أهله وليكون أمناً من الأذى الذي قد يصيبه من الآخرين يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٩) [يوسف].

ومنذ أن خلا يوسف بأخيه بنيامين خطط معه لإبقائه معه وعزله عن بقية الإخوة بحيلة تتطلي عليهم، ولا يكون فيها ضرر على الأخ الأصغر بترتيب مسبق مع يوسف على ما يظهر من القصة يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنِّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)﴾ [يوسف].

لقد كان هناك تحديد واضح بتطبيق عقوبة في حق السارق لأدوات خاصة بالدولة وهو ما عبروا عنه بصواع الملك والمتهمون هم إخوة يوسف، ولذلك استوثق منهم الموظفون في العقوبة التي ستقع على السارق إن كان منهم فأجابوا بما يفيد استحقاق المخطئ بالسرقة للعقوبة قال تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) ﴿يوسف﴾.

لقد كان المفتشون على علم بوجود الصاع في متاع الابن الأصغر، كما كان هو نفسه يعلم ذلك لكن المفتشين أرادوا أن يكون الأمر طبيعياً حتى لا يشعر الإخوة بذلك فكان التفتيش في البداية بعيداً عن الموضوع الحقيقي يقول الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِذْنَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) ﴿يوسف﴾.

لقد سارع الإخوة باتهام أخيهم رغم براءته، ورغم أنها حركة قام بها يوسف على علم من أخيه بنيامين وفي هذا مؤشر على سرعة اتهام الآخرين عند بعض من يقعون في الخطأ، وهم لم يؤكدوا تهمة بنيامين فقط بل تجاوزوا ذلك

إلى يوسف عليه السلام مع أنه هو المظلوم على أيديهم وهم أعلم الناس بذلك، وسمع يوسف ما يمسّه شخصياً وهو في موضع الحكم والقدرة عليهم، ومع ذلك فقد كتم غيظه ولم يتصرف معهم بما يكشف هويته، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧) [يوسف].

لقد حاول إخوة يوسف أن يقع الحجز والعقوبة على أحدهم بدلاً من أخيهم^(٧٥) حيث كان أبوهم قد أخذ عليهم المواثيق أن يأتوا بأخيهم ولم يكن هذا لائقاً ولا مقبولاً في أي نظام جنائي عبر التاريخ فالمتهم أو المخطئ في حال وجوده هو المسؤول عن ما يتصل بجريمته ولا يقع ما يتبعها من تحقيق أو عقوبة على غيره قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) [يوسف].

لقد كان يوسف عليه السلام دقيقاً في رده عليهم حيث لم يؤكد وقوع السرقة من أخيه بل عرض بذلك وفي كلامه ما يقنع

(٧٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٥١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٤.

إخوته دون أن يكذب،^(٧٦) يقول تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ (٧٩) [يوسف].

لقد تحرك في نفس الأكبر من الإخوة وازع الخير وتذكر المواثيق التي أعطوها لأبيهم،^(٧٧) وما ينبغي أن تكون حالهم عليه في فقد أخيهم، وبدأ يذكرهم بفعلهم السابق مع يوسف عليه السلام ويأمرهم أن يكونوا دقيقين في الشهادة ضد أخيهم الأصغر حيث أنهم لم يروه يسرق وإنما علموا ذلك من خلال ما جرى من أحداث قد يكون الأخ بريئاً فيها، كما أوضح من خلال حديثه معهم أنهم في القضية الأولى فرطوا ولم يكونوا معذورين وأنهم في هذه القضية قد يكونوا معذورين لكن من الصعب الوثوق بحديثهم لأنهم سبق لهم الكذب ولذلك يريد منهم أن يدعوا الأب ليسأل الآخرين يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسُّوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي

(٧٦) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٣٣. عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٩٣.

(٧٧) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٢. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٥١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٤.

يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَيَّ أَتِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ
ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِغَيْبِ
حَافِظِينَ (٨١) وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا
فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) ﴿[يوسف].

لقد كان الواقع صعباً على يعقوب عليه السلام حيث فقد ابنه
الأول يوسف عليه السلام وهاهو يفقد الابن الثاني بنيامين ^(٧٨) ولذلك
فإنه اتهم الأبناء مع براءتهم لأن لهم سابقة يقول تعالى: ﴿قَالَ بَلْ
سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا
أَسْفَى عَلَى يَوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ
كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكَرُ يَوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَأ تَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [يوسف].

(٧٨) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص
١٥٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٤.

ثم إن يعقوب عليه السلام أمر أبناءه بمتابعة قضية أخيهم بنيامين ^(٧٩) يقول تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسُّوْا مِنْ رُوحِ اللّٰهِ إِنَّهُ لَا يَيْسُّ مِنْ رُوحِ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) [يوسف].

وحدث لقاء جديد هو الثالث بين يوسف وإخوته وكانوا لا يعرفونه في بداية اللقاء لكنه كان يعرفهم، وهكذا قد ينسى الجاني لكن المجني عليه لا ينسى مهما بعد الزمن، ولقد نصر الله يوسف عليهم فجاءوا وهم بحاجة وهو غني عنهم، كان يستطيع أن يفعل بهم ما يشاء بحكم قوته ومنصبه لكنه كان بهم رحيماً رغم قسوتهم عليه، وكانت الظروف مواتية ليكشف لهم هويته حتى يتعلموا درساً مهماً وهو أن الله ينصر المظلوم ويؤثره على ظالمه، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَتُنْكَلُ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي

(٧٩) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٥٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢١٥.

قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴿يوسف﴾.

لقد أقر الإخوة في هذا الموقف بخطأهم ورأوا بأنفسهم
كيف كانت العاقبة له، أعزه الله واحتاجوا إليه،^(٨٠) ومع
حاجتهم له وقدرته على الانتقام منهم إلا أنه قابل ذلك بالعفو
والمغفرة والدعاء، يقول تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ
اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴿يوسف﴾.

ثم إن يوسف عليه السلام أرسلهم بعلاج لأبيه وطلب منهم أن
يحضروه مع أهلهم إلى مصر، ويظهر أن هناك أنظمة لإقامة
الأجانب في الدولة المصرية في تلك الفترة ولذلك فإن يوسف
أعد لهم ما يلزم من إجراءات لدخولهم مصر آمنين.^(٨١) يقول
تعالى: ﴿أذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) وَكَمًا فَصَلَّتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي
ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ

(٨٠) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٥. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص
١٥٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٦.
(٨١) محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن، ص ١٥٤.

بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَأ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ [يوسف].

لقد أدرك الإخوة خطأهم وتابوا إلى الله وطلبوا من أبيهم العفو عنهم،^(٨٢) وأحسوا بحاجتهم للدعاء والاستغفار يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ [يوسف].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي (إن أولاد يعقوب عليه السلام) جرى منهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح والاعتراف التام والعفو التام عنهم من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد بحقه فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين الغافرين، ولهذا في أصح الأقوال إن الله جعلهم أنبياء لمحو ما سبق منهم وكأنه ما كان ولقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَأ تَفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

(٨٢) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٥٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٦.

مُسْلِمُونَ» (٨٤) [آل عمران] وهم أولاد يعقوب الإثنا عشر وذريتهم).^(٨٣)

لقد كان يوسف شاكراً لله حيث أنه ذكر فضل الله عليه بالخروج من البلاء الذي وقع فيه، وهذا نعمة من الله، ولم يذكر البلاء إلا في عرض الحمد للنجاة منه بفضل الله يقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف].

لقد كان يوسف في أعلى المناصب الإدارية والمالية آمناً في نفسه^(٨٤) لكنه كان ذاكراً لله متقياً له يرجو ما عنده يوم القيامة، ويدرك أن الدنيا ومناصبها وأموالها قصيرة، ولا ينبغي أني يتعلق بها مهما كانت الظروف، وأن ما يعيشه الإنسان من بلاء ونعمة يحتاج إلى صبر وشكر وأنه ينبغي أن ينظر إلى منازل الآخرة الناعمة الدائمة، وبالتالي يتصرف في

(٨٣) عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٨٤.

(٨٤) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٨٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٧.

الدنيا على خشية من الله ومن ما أعد من حساب يوم القيامة وهذا درس لكل من تولى مناصب عالية وآتاه الله من فضله ، يقول تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١) [يوسف]

لقد كانت هذه القصة بتمامها وحيًا أوحاه الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ وفيها من الدروس العظيمة في مختلف مجالات الحياة البشرية ما يصعب حصره، ومهما قال المفسرون عن القصة فما في كتاب الله عنها أبلغ من شرحهم وإيضاحهم، ومن أهم ما تعالجه كما أتضح لنا المكر بالآخرين والاعتداء عليهم، كما تبين أن الحسد يقع بين النفوس ويفسد بين الأخوة، وهم من أقرب الناس، وهذا ما تعرض له يوسف عليه السلام. لقد كانت درسًا لنبينا محمد ﷺ وللأمة من بعده إلى يوم القيامة وللمتعرض لقضايا الأمن في حياة الناس وأفراد الأمة يقول تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١٠٢) [يوسف]

موسى عليه السلام :

عاش بنو إسرائيل في مصر منذ رحيل يعقوب عليه السلام مع أبنائه

إلى مصر بعد تمكن يوسف فيها وتسمنه أعلى المناصب،^(٨٥) ومنذ أيام فرعون مصر رمسيس الثاني، وابنه الفرعون المسمى (منفتاح)،^(٨٦) من الأسرة التاسعة عشرة، التي حكمت في الفترة من ١٢٥٠ - ١٣٥٠ ق.م،^(٨٧) وبنو إسرائيل يتعرضون للمضايقة والتعذيب، على يد فرعون مصر وجنده وقد وصف الله حالهم في قوله: ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(٤) ﴿[القصص].

وقد اتخذ هذا الطاغية قراراً بقتل المواليد من بني إسرائيل في مصر وخصوصاً الرجال منهم كما قرر استحياء النساء واسترقاقهن وجعلهن خدماً لهم.^(٨٨) (وقد ذكر غير

(٨٥) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٣٣. محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٤٥.

(٨٦) انظر التفاصيل عند: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٢٤٠، والذي يرى أن زمنهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وعبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٧٦.

(٨٧) دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٦٥.

(٨٨) العهد القديم، سفر الخروج الثاني، الإصحاح، ص ٨ - ١٦. اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٣٣. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٠. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٩٩. دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٦٦.

واحد من المفسرين أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاقت أمه به ذرعا واحترزت من أول ما حبلت، ولم يكن يظهر عليها مخائل الحبل، فلما وضعت ألهمت أن اتخذت له تابوتا فربطته في حبل، وكانت دارها متاخمة للنيل، فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت فأرسلته في النهر وأمسكت طرف الحبل عندها فإذا ذهبوا استرجعته إليها به^(٨٩) قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) وَنُمْكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُريَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ

عبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٦٨. محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٢٦.
(٨٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٣٩. محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٢١٤. حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٥٦.

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴿[القصص].

ولقد أراد الله أن يظهر قدرته ويبين ضعف كيد فرعون
مهما كان دقيقاً إذا كان مبنياً على الظلم والكفر بالله،
فأراد الله أن ينشأ موسى عليه السلام ويترععرع في بيت فرعون رغم
الإجراءات الأمنية المشددة الظالمة التي كان يتخذها خوفاً من
وجود موسى، فجعل الله موسى بين يديه وفي بيته آمناً مطمئناً
يقول الله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِبِينَ﴾ (٨) [القصص]. وجعل الله القسوة في قلب فرعون،
والرحمة في قلب امرأته وهي مؤمنة صالحه يقول تعالى:
﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) [القصص] وثبت الله
أم موسى بعد أن كادت تكشف سرها، ^(٩٠) ويقتل ولدها

(٩٠) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠١. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٣.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤٠. محمد عبد السلام، بنو
إسرائيل في القرآن، ص ٢١٥. وانظر: كينيث كانتزر، التفسير التطبيقي
للكتاب المقدس، ص ١٣٢.

ظلمًا من فرعون لولا رحمة الله بها، يقول تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠) [القصص] وشاء الله أن ترضع أم موسى ولدها ويدفع فرعون أجر الرضاعة لأم عدوه نظير إرضاعها لعدوه - إنها - يقول تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُوهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣) [القصص].

وعاش موسى في بيت فرعون يتعلم أمور الدنيا ومنطقها، وحفظ الله له دينه على ملة آبائه إبراهيم ويعقوب، وأتاه الله العلم والحكمة يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤) [القصص].
 وحين شب موسى كان قويًا شجاعًا يهابه الشباب في أيامه ويستعينون به لقوته، وقد وقع خطأ قتل غير عمد من موسى

وقد وردت قصة ولادة موسى في سفر الخروج (٢) إلا أنها نالها التحريف وتختلف تمامًا عن ما ورد في القرآن الكريم.

لأحد المصريين، ومع ارتكاب موسى لهذا الخطأ فقد كان نادماً عليه تائباً لله تعالى غير متعمد للقتل أصلاً وقد وردت قصته هذه في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَّاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ [القصص].

لقد كان واضحاً كراهية موسى للقتل وبغضه للمجرمين ابتداءً ومبادرته للتوبة مما وقع منه ولذلك فقد تعهد بعدم مساعدة المجرمين على إجرامهم يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧) [القصص].

ولاشك أن المدينة المصرية التي قتل فيها موسى كان فيها أجهزة للأمن تبحث عن القاتل، كما أن جماعة القتل يبحثون عن قاتل صاحبهم ليعاقبوه، ويظهر أن الحادثة لم يطلع عليها إلا صاحب موسى الذي استغاثه ولذلك خفي أمرها على الأجهزة الأمنية وعلى جماعة القتل ومع ذلك فكان

البحث جارياً عن القاتل^(٩١) مما جعل موسى يعيش في خوف من القبض عليه يقول تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٨) [القصص].

لقد كان المحرض لموسى على خطأ الأمس مستمراً في خطئه، فهاهو يحرضه مرة أخرى لجريمة جديدة كاد أن يقع فيها موسى، فتحدث إليه الضحية وكان يتوسم الخير في موسى فحرك فيه نوازع الخير فكف عنه، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٩) [القصص].

لقد كانت متابعات الجريمة مستمرة وأخذت أصابع الاتهام تشير إلى موسى في حادثة قتل الأمس، وبدأ السؤال

(٩١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٣٤. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠٣. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٦. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٧٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤٢. محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٢١٦. حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٥٩.

والتحري عن موسى وأحس أصحابه بالخطر عليه فأنذروه يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠) [القصص].

فاضطر موسى للهروب من المدينة المصرية بل إنه حاول التوجه إلى أقرب حدود للدولة ليخرج من سلطانها تماماً إلى أرض لا تكون للدولة المصرية الفرعونية وسلطاتها أي أمر عليه، وبالتالي كانت الأطراف الشمالية الغربية للجزيرة العربية حيث بلاد مدين^(٩٢) هي أقرب الأماكن إليه فعبر إليها مروراً بسيناء حتى وصل تلك الأرض البعيدة عن السلطة الفرعونية في مصر يقول تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)﴾ [القصص].

لقد كان موسى رحيماً يحب الخير ومساعدة الآخرين دون مقابل ساعياً لرضا الله خادماً للضعفاء فوقعت له حادثة مع نساء ضعيفات شعر بحاجتهن للمساعدة فلم يتردد في ذلك

(٩٢) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤٤. وانظر: ص ٤٦ من هذا الكتاب لمعرفة موقعها بالتحديد.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾ [القصص].

لقد كان موسى متعلقاً بالله تائباً إليه رغم وقوعه في الخطأ، وقد حرص على البعد عن أراضى فرعون ليأمن من سطوته، كما أن بعده عن موقع الخطأ يعينه على صدق التوبة، وحينما قابل والد البنيتين طمأنه إلى نجاته وبعده عن سلطة فرعون الظالم،^(٩٣) وأنه أصبح في أرض لا تمتد سلطته إليها أو خارج حدود دولته، يقول تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) [القصص].

تزوج موسى من إحدى بنات الشيخ وبقي في مدين عشر سنوات ثم أخذ أهله عائداً إلى مصر وفي الطريق كلمه الله سبحانه وتعالى عند جبل الطور وحمله الرسالة إلى فرعون

(٩٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤٤.

وأشرك معه أخاه هارون في النبوة،^(٩٤) وهذه أول مرة يطلب فيها نبي أن يشاركه أحد في النبوة ويستجيب الله تعالى لهذا الأمر، ومع هذا فإن موسى كان يخشى من الذنب الذي وقع منه في ديار مصر وقد أشارت الآيات القرآنية لذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)﴾ [الشعراء].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣) [القصص]

(٩٤) وردت تفاصيل ذلك في مواضع مختلفة من القرآن الكريم منها، ما ورد في سورة طه، والقصص، والشعراء، والنمل. وانظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٧٧-١٨٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤٢-٢٤٩.

وبعد أن وصل موسى لمصر ودخل على فرعون للقاءه بعد انتظار طويل استمر أشهراً^(٩٥) كان فرعون خلاله يعد المعلومات عن موسى قبل لقاءه، ولاشك أن هناك أجهزة معينة كانت تساعده في ذلك مما يدل على قدم أجهزة المعلومات الأمنية ووجودها في العصور الفرعونية القديمة، ولذلك فعند اللقاء سأل فرعون موسى بعض الأسئلة^(٩٦) التي يبين من خلالها معرفته به منذ الصغر يقول تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)﴾ [الشعراء].

إن سؤال موسى عن حادثة القتل التي وقعت منه ليظهر به فرعون أمام قومه اهتمامه بهذه القضية، ما كان حقيقياً وإنما من باب المجادلة والمحااجة، فقد كان فرعون يقتل في بني إسرائيل حتى كاد يفني شعباً بأكمله، وهو هنا يقف

(٩٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠٩. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٨١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٥٣.

(٩٦) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢٠٨. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٨١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٥٠.

كثيراً عند حادثة قتل واحدة ارتكبت خطأ فأين الإنصاف، لكنه أراد استعراض قدرة أجهزته الأمنية على البحث عن موسى وتاريخه ليخرج له صحيفة سوابق كما زعم فرعون، وليكفر بالله ويقود الناس إلى عبادته هو شخصياً والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) [القصص].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَا هُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ النَّسَبَابِ﴾ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٣٧) [غافر].

لقد كان هدف فرعون التكبر وادعاء الألوهية والطمعان وإذلال الناس وإلا فقد كان أعلم الناس بضعفه وأنه ليس إله.

وهذه القصص المرتبطة بحياة موسى عليه السلام تدل على معرفة شيء من النظم الأمنية منذ القدم سواء أستفيد منها للظلم أو للعدل إلا أنها موجودة وخصوصاً ما يتعلق بالمتابعة للجريمة والبحث عن مرتكبيها والاحتفاظ بالمعلومات عنها للرجوع لها عند الحاجة وهذا ما يمكن استنتاجه من ثانياً القصة وما يرتبط بها من حوادث.

كما أن من الملاحظ على قصة فرعون مع موسى عليه السلام أن فرعون حاول الظهور أمام قومه أنه يريد الحفاظ على بلدهم وعلى مصالحهم وعلى معتقداتهم التي هي عبادته من دون الله وأنه في سبيل ذلك سيؤذي موسى ومن معه، ^(٩٧) يقول الله سبحانه وتعالى عن ذلك: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٢٧) [الأعراف].

لقد كان فرعون رغم ادعائه بمتابعة الجريمة، وتحقيقه مع موسى عنها، هو أكبر المجرمين القتلة، حيث أصدر أمراً باستباحة دماء بني إسرائيل والمؤمنين مع موسى من آل

(٩٧) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢١٢. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٨٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٥٥.

فرعون، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) ﴿[اغافر].

لقد كان فرعون يظهر للقوم حرصه على أمنهم ووطنهم لكنه في الحقيقة يجرحهم إلى الهلاك والدمار ليؤلهوه من دون الله. لقد حشر فرعون كل قواته وكل طاقاته ليدعي الألوهية وليسخر تلك الطاقات للشرك وعبادته من دون الله^(٩٨) فكانت نتيجة ذلك وبالأعلى عليه وعلى قومه الذين أطاعوه يقول تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)﴾ [النازعات].

لقد كان فرعون أكبر القتلة المعتدين المجرمين فأغرقه الله وأنجى المستضعفين من بني إسرائيل. يقول تعالى:

(٩٨) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢١٣.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ءَأَلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَأَيَّةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَأَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)﴾ [يونس].

ويقول تعالى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ [الأعراف].

إن العلاقة بين موسى عليه السلام وفرعون تتلخص في حرص موسى على إطلاق الحرية لبني إسرائيل ليهاجروا بعيداً عن طغيان فرعون وظلمه، فكان فرعون ينظر من زاوية أخرى يبرر فيها ظلمه لهؤلاء المستضعفين، ليجعلهم تحت سيطرته وظلمه، في وقت كان يدعي الربوبية، وهم موحدون أتباع لموسى عليه السلام.

لقد كانت النهاية للموحدين المؤمنين بالله من بني إسرائيل المتبعين لرسوله ﷺ والهالك لفرعون ومن سار معه في غوايته وظلمه للناس.^(٩٩)

ومن الحوادث المهمة في حياة موسى قصة القتل التي حدثت في بني إسرائيل والتي شرحت في القرآن الكريم وسميت باسمها أطول سور القرآن (البقرة) والتي تحدثت آياتها عن تلك الحادثة التي أرجع معظم المفسرين ارتباطها بجريمة قتل في زمن موسى ﷺ والآيات هي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا

(٩٩) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٣٦. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٢١٤. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٢٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٨٨. وانظر عنوان (هالك فرعون وجنوده) عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٦٨.

ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَّا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا
الآن جئت بالحق فذبّوها وما كادوا يفعلون (٧١) وإذ قتلتم
نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (٧٢) فقلنا
اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته
لعلكم تعقلون (٧٣) [البقرة]

أورد الطبري في تفسيره لهذه الآيات روايات منها أنه:
(كان في بني إسرائيل رجل عقيم أو عاقر، قال: فقتله وليه،
ثم احتمله، فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه
الشر، حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهي: أتقتلون
وفيكم رسول الله ﷺ؟ قال: فأتوا نبي الله، فقال: اذبحوا
بقرة! فقالوا: {أتتخذنا هزوا قال أعوذ! بالله أن أكون من
الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها
بقرة} إلى قوله: {فذبحوها وما كادوا يفعلون} قال: فضرب
فأخبرهم بقاتله. قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً. قال:
ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، فلم يورث قاتل بعد
ذلك).^(١٠٠)

(١٠٠) الطبري، تفسيره، ج ١، ص ٤٠١ - ٤٠٢. وانظر: عنوان (قصة بقرة
بني إسرائيل)، عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٩٣.
الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٩٩.

كما ورد من القصص المتعلقة بالأمن في حياة موسى عليه السلام بغي قارون عليه وهو من قومه واتهامه موسى بتهمة باطلة مكذوبة، إلا وهي جريمة الزنا في الوقت الذي كان موسى ينهى الناس عن ذلك ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) [القصص].

أورد الطبري في تفسيره (عن ابن عباس، قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كل ألف دينار ديناراً، وكل ألف شيء شيئاً، أو قال: وكل ألف شاة شاة قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً، فجمع بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي، فتجعلوا لها جعلاً، فتقذفه بنفسها، فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال لموسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنتهاتهم، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض، فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى

وليس له امرأة جلدناه مئة ، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت ، أو رجمناه حتى يموت فقال له قارون: إن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا! قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال: ادعوها ، فإن قالت ، فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة ، قالت: يا لبيك ، قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي؛ فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه: مر الأرض بما شئت ، قال: يا أرض خذهم! فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى ركبهم. ثم قال: يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى حقيهم ، ثم قال: يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى ، ويتضرعون إليه. قال: يا أرض خذهم ، فانطبقت عليهم).^(١٠١)

ونحن نرى من هذه القصة أن العقوبة الإلهية في الدنيا تقع على من يتهم الأبرياء ويؤذنيهم بغير وجه حق ويستتهين بأعراضهم ، وإن كانت هذه العقوبة قد حلت بقارون لإيذائه

(١٠١) الطبري، تفسيره، ج ١٠، ص ١٠٩-١١٠. وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤ ، ص ١٨٥. انظر عنوان: (قصة قارون مع موسى ﷺ) عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٣٠٩.

موسى عليه السلام وهو نبي من الأنبياء، واتهامه بالباطل فإن هناك شواهد في حياة عامة الناس بعقوبات عاجلة لمن يشهد زوراً أو يتهم الأبرياء بالباطل، والقصاص في هذا المجال كثير والأحوال مشاهدة في عموم المجتمعات، ناهيك عن ما عند الله من عقوبة لمن يظلم الناس ويتهمهم زوراً وبهتاناً.

داود وسليمان عليهما السلام:

كان داود عليه السلام من أبرز ملوك بني إسرائيل في بيت المقدس، وقد كان حكمه سنة ١٠١٠ قبل الميلاد،^(١٠٢) كما كان في الوقت نفسه نبياً مرسلًا وقد ورد الحديث عنه في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً.^(١٠٣)

بدأ بروز داود عليه السلام في بني إسرائيل كجندي مقاتل محترف في جيش طالوت الذي وردت قصته في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ

(١٠٢) كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،

ص ٦. عبد الغني عبود، أنبياء الله في الحياة المعاصرة، ص ٥٧.

(١٠٣) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٣٦١.

عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ
 مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ
 وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
 بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
 عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
 فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَعَالُ هَارُونَ
 تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
 مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا
 جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
 وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
 غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا
 بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
 وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
 دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ نَا
 دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴿البقرة﴾.

لقد كان داود جندياً في أول حياته وساهم في الجهاد ضد أعداء أمته وتأمينها في موطنها، ثم تدرج حتى اختاره بنو إسرائيل ملكاً عليهم بعد موت صهره طالوت - الملك السابق -، وبعد أحداث متفرقة وطويلة لانجد لها حديثاً في القرآن ولا في السنة ولا عند المؤرخين المسلمين سوى ما نقل لنا من الإسرائيليات.^(١٠٤)

كما كان نبي الله داود خليفة في الأرض كما ورد في القرآن الكريم ومهمته إقامة الحق حتى يأمن الناس، وأهم ذلك العدل والإنصاف بين الناس فبه يسود الأمن وينتظم، وقد أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٦) [ص.١].

ويقول تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ (٢٠) [ص.١].

(١٠٤) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٣٤٨، تفسيره، ج ١، ص ٦٢١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٩. وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٢٦٧. محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٤٥. وانظر: سفر صمويل الأول، ٧، ٨. وكينيث كانتزر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥٧٣.

يذكر المفسرون أسباباً عديدة لشدة ملكه منها أن الله ألهمه في الحكم بقضايا معينة بين الناس فثبت لهم قوته وحزمه وتأديبه للمجرمين فكان حكمه قوياً مهيباً وكان الأمّن سائداً بين رعيته وفي سائر أنحاء مملكته.^(١٠٥)

كما ألهم الله نبيه داود عليه السلام صناعة الدروع، وهي ملابس وقائية يلبسها المقاتلون ليأمنوا من ضربات الأعداء ولتحمي أجسادهم من السيوف وغيرها من الأسلحة الجارحة، وقد عرفت صناعة الدروع من حلقات السلاسل لأول مرة على يد داود عليه السلام^(١٠٦) يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾ [سبأ].

ويقول تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) [الأنبياء].

وقد أدب الله سبحانه وتعالى نبيه داود عليه السلام بعد أن احتاج

(١٠٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٣٤٨، تفسيره، ج ١٠، ص ٥٦٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٢ وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ص ٢٦٧.

(١٠٦) الطبري، تفسيره، ج ١٠، ص ٣٥١. الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ٤١٩.

لذلك في قضية اختلف المؤرخون والمفسرون فيها، وأخطأ اليهود في حق نبيهم حيث نسبوا له فعلاً لا يصدر من عامة الناس ولا يصدر إلا عن المجرمين، فكيف بنبي طاهر مصطفى ولذلك احترم علماء المسلمين داود عليه السلام أكثر مما احترمه بنو إسرائيل أنفسهم،^(١٠٧) ونزهه المسلمون عن قولهم، لكن من المؤكد أن الصواب قد جانب داود عليه السلام فبعث الله إليه نقرأ من الملائكة على شكل خصماء جاءوا ليحكم بينهم لكنهم جاءوا ليعلموه بخطئه ويوجهوه إلى الصواب، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) *إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) *إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي**

(١٠٧) يستحي الإنسان أن يورد ما قاله بنو إسرائيل عن نبيهم داود عليه السلام لو كان عن أي إنسان آخر فما بالك بنسبته لنبي. وقد تحدثت أسفار العهد القديم عن ذلك، بوقاحة تتم عن سوء أدب ممن حرفوا كتابهم، انظر: سفر صمويل الثاني، ١١. وكينيث كينتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٦٦١. ومحمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٤٩. محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٥٦. وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٣.

الْخُطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص].

لقد وهب الله لعبده داود ابناً صالحاً عالماً ثم أصبح نبياً، كان نعم العون لأبيه على إقامة العدل والحق والإنصاف بين الناس،^(١٠٨) وهب الله لداود سليمان عليه السلام الذي آتته الله عليه في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) [ص].

لقد شارك سليمان عليه السلام مع أبيه في الحكم بين الناس وإقامة العدل مجتمع الدولة في زمانه يتكون من الرعاة ومن المزارعين، وكانت تحصل بينهم بعض المشكلات، وقد اعتدى بعض الرعاة بأغنامهم على مزرعة عنب لأناس

(١٠٨) الطبري، تفسيره، ج ١٠، ص ٥٧٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١. وانظر: اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٥٧.

اشتكوههم على الملك داود وهو القاضي بين الناس في زمانه ، وكان سليمان يحضر مجلسه بعد أن بلغ مبلغ الرجال ويشارك في القضاء والحكم بين الناس ، حتى يعرف كل منهم حقه ويعم الأمن بينهم ، وحينما استمع داود وسليمان للقضية المعروضة عليهم اختلفت وجهات النظر بينهما فكان الحكم الصائب مع سليمان عليه السلام مع اجتهاد داود وفضله وعلمه ، وكان فيه تأديب للمعتدين من الرعاة وتعويض لأصحاب الحرث^(١٠٩) يقول الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴿[الأنبياء].

كان سليمان تلميذاً لأبيه في كل شيء لكنه تلميذ كاد أن يتفوق عليه وخصوصاً في القضاء والحكم بين الناس وإقامة العدل بينهم،^(١١٠) وهذا من أهم أسباب الأمن في مملكته التي ورثها عن أبيه ، وقد تفضل الله على سليمان وعلى أبيه بأن علمهم علوماً لا يعرفها كثير من الناس ، حيث

(١٠٩) محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٧٦.

(١١٠) محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن، ص ٥٠.

كانوا على قدرة للتفاهم مع بعض المخلوقات من الطيور والحشرات^(١١١) وغيرها يفهمون لغتها ويستفيدون منها في بعض المهمات^(١١٢)، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ** (١٦) ﴿[النمل].

لقد آتى الله سليمان عليه السلام قوة من الجند كانت له سيطرة عليهم، منهم الإنس ومنهم الجن ومنهم الطير^(١١٣) والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ونحن نرى في الوقت الحاضر مقدرة بعض القوات أو الأجهزة الأمنية والعسكرية على استخدام الطيور أو الدلافين أو الكلاب لمهام أمنية وعسكرية نتيجة لأبحاث وتدريب، كما نرى أن الأبحاث أثبتت أن للطيور والحيوانات لغة مشتركة ومفهومة، وإذا كانت جهود البشر اكتشفت بعض الأمور واستطاعت

(١١١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٠.

(١١٢) الطبري، تفسيره، ج ٩، ص ٥٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٥ و ١٨.

(١١٣) الطبري، تفسيره، ج ٩، ص ٥٠٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٠. محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٧٧.

الاستفادة من هذه المخلوقات بشكل أو آخر فإن الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل وأعلم وأقدر على تسخيرها لسليمان وغيره، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) [النمل].

ويتحدث القرآن عن حادثة لسليمان وجنده بينت شكر سليمان لله تعالى على تسخير المخلوقات له وعلى إرجاعه هذا الفضل وهذه القوة لله يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨) فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (١٩) [النمل].

كما بينت آيات القرآن الكريم استفادة سليمان عليه السلام من الهدهد وهو من الطيور المشهورة في الحصول على الأخبار^(١٤) ومتابعة الجرائم وأعضمها عند سليمان عليه السلام وعند الأنبياء جميعاً جريمة الشرك، وبينت ما قام به هذا الطائر من دور في

(١٤) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٣٥٤. تفسيره، ج ٩، ص ٥٠٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٢. محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٦٦.

حمل رسالة من سليمان لمن يحتاجون لذلك يقول تعالى:
﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبُنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لَأَأْتِيَنِّي
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ
بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ
وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ
سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي
هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ
يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ
وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي
مُسْلِمِينَ (٣١)﴾ [النمل].

لقد كانت هذه المرأة حكيمة في قيادتها^(١١٥) حريصة
على أمن قومها ولذلك بادرت بجمعهم واستشارتهم فيما ينبغي

(١١٥) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٣٥٥، تفسيره، ج ٩، ص ٥١. ابن
الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٢.

أن تكون عليه تصرفاتها حول رسالة سليمان وتهديده لبلادها لذلك فقد استشارتهم بقولها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ (٣٢) [النمل].

فجاء الجواب من مستشاريها: ﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣٣) [النمل].

فطرحت عليهم قضية أمن بلدها بعامية وما يمكن أن يحدث فيها من فساد نتيجة معاندة سليمان ودخوله لبلادها بالقوة وما يحدث من اضطراب عام وفساد في حال الاحتلال: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤) [النمل].

ولذلك حاولت ملاطفة سليمان بالمال: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥) [النمل].

لكن سليمان لم يكن هدفه المال^(١١٦) وإنما كانت دعوة التوحيد وترك الشرك هي أهم أهدافه ولذلك فقد احتج على

(١١٦) أشارت أسفار العهد القديم إلى قصة سليمان مع ملكة سبأ، إلا أنهم أساءوا الأدب مع سليمان كعادة اليهود مع أنبيائهم، حيث جعلوا هدف سليمان المال والذهب، وهذا مخالف لما ذكره القرآن من إنكار سليمان رغبته في المال، (انظر: سفر الملوك، ١٠) وانظر: دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص. ١٦٨.

إرسال المال وبين غناه عن ذلك وأن المبدأ عنده هو الأهم:
 ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) [النمل].

واستمر ﷺ في تهديد أمن بلقيس وأمن بلادها إن لم
 تسلم وتستسلم وتستقيم على منهج الله الحق والعدل قال
 تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ
 مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣٧) [النمل].

وقد انتهت تلك القصة والمراسلات باعتراف ملكة سبأ
 بالحق والعدل وإيمانها بالله وإقرارها بذلك^(١١٧) يقول تعالى:
 ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ (من الآية ٤٤) [النمل].

كما كان سليمان يعد الخيل الخاصة بالجهاد وما
 يرتبط بالقوة وقيام دولته بواجب الدعوة وإرعاب الأعداء حتى
 أنه كان يتفقد الخيول وما يتبعها من عروض بنفسه ﷺ
 يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إذ
 عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِرَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

(١١٧) الطبري، تاريخه، ج ١، ص ٣٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج ١،
 ص ٢٣٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤. محمد الفقي، قصص
 الأنبياء، ص ٣٧١.

حُبِّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوَهَا
عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) ﴿ص﴾.

ويتحدث المفسرون والمؤرخون عن محاولة اغتصاب للملك
والحكم من سليمان وأن الله سبحانه وتعالى أعانه وأعاد إليه
ملكه بعد فترة ابتلاء^(١١٨) ويستدلون على هذه المرحلة العصبية
من حياة سليمان وما مر به من فتنة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَأَ يَنْبَغِيَ لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ (٣٥)﴾ ﴿ص﴾.

عيسى عليه السلام:

عيسى بن مريم هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى
مريم وروح منه، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، ولد من غير
أب، وولادته في حد ذاتها معجزة، والحديث عن حياة عيسى
عليه السلام يقرن بالحديث عن أمه مريم ويبدأ مع جدته امرأة
عمران،^(١١٩) يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ
لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(١١٨) الطبري، تفسيره، ج ٩، ص ٥٨١.

(١١٩) حسن الجمل، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، ص ١١٥.

الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴿العمران﴾.

لقد كانت مريم وذريتها مُعَاذةً بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
ولذلك نشأت نشأةً صالحةً، ومرّت في حياتها بمحنٍ وضعتها
في مكان التهمة أمام مجتمع بني إسرائيل الذي كانت تعيش
فيه في بيت المقدس،^(١٢٠) حيث كان لهذا المجتمع في تلك
الفترة قيمه الخاصة المستقاة من شريعة موسى ﷺ والأنبياء
من بعده، ولذلك كانت مريم عليها السلام جزءاً من هذا
المجتمع وعرفت بصلاحها التام، وأنها نشأت في بيت علم
وصلاح وما عرف عن أهلها غير ذلك، وكانت امرأةً مصطفىةً
وطاهرةً يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ
اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ آل
عمران].

(١٢٠) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٧٤. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٩،
تفسيره، ج ٣، ص ٢٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٣٠٧. ابن كثير،
البداية والنهاية، ج ٢، ص ٦٣. حسن الجمل، إن مثل عيسى عند الله،
ص ٧٢. الصابوني، النبوة، والأنبياء، ص ١٩٣.

امتحنَت مريم (عليها السلام) بالحمل دون أن يمسهَا بشر، وكانت عرضة للانتقاد في مجتمع يعد فيه الزنا جريمة كبرى، ولذلك خافت من الناس واتهامها به رغم براءتها، ومن خلال أحداث المولد لعيسى عليه السلام^(١٢١) يتضح أن هناك رقابة اجتماعية على الجرائم عموماً وعلى الزنا خصوصاً، وأن عيون المجتمع لا ترحم في هذا المجال،^(١٢٢) ولذلك خشيت على نفسها وابتعدت عن مجتمعها، يقول تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا (٢٣) فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزِنَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)﴾ [مريم].

بعد الولادة أصبح عيسى عليه السلام بين يدي أمه مريم البتول، وخشيت من قومها أكثر خصوصاً أنها من عائلة سالحة

(١٢١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٦٣، حيث وضع عنواناً (ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول).

(١٢٢) لمزيد من التفاصيل عن نظرة المجتمع لمريم منذ حملها، انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٤٥٩. الفقي، قصص الأنبياء، ص ٤٣٥.

تقية، يضرب بها المثل في العفة والطهارة،^(١٣٣) وكان لآبدها من المواجهه فالله يرهاها ويحميها وقد منحها من المعجزات ما يدفع عنها الشبهة، يقول تعالى: ﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨)﴾ [مريم].

لقد تعرضت مريم (عليها السلام) للضغط والاتهام وهي لم تجرم بل كان حملها بعبسى ﷺ كرامة لها، ولذلك فإن الله وجهها وأعطاها من المعجزات ما تدفع به عن نفسها يقول تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)﴾ [مريم].

(١٢٣) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٧٣. الطبري، تفسيره، ج ٨، ص ٣٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٣١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٦٧.

بعد ولادة عيسى عليه السلام وما جرى له من معجزات كان مهدداً من قبل الملك الروماني لفلسطين هيروودس^(١٢٤) الذي حاول التعرض لعيسى عليه السلام ولأمه فاضطرت مع أهلها إلى الهجرة خارج فلسطين والتوجه إلى مصر وقيل إلى دمشق أو مكان آخر للنجاة^(١٢٥) من هذا المجرم الذي كان يهدد حياة المسيح عليه السلام وأمه بالخطر وهذا مفهوم المفسرين^(١٢٦) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠) [المؤمنون].

وبعد أن كبر عيسى عليه السلام نزل عليه الوحي وحمل رسالة الله إلى بني إسرائيل وكان مما جاء به أن أمر عليه السلام بشريعة تنظم حياة الناس وحقوقهم وواجباتهم وهذا بالطبع يوجد الأمن والسلام فيما بينهم، وقد كانت شريعة عيسى عليه السلام من التوراة ومن الإنجيل يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ

(١٢٤) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٤٦١.

(١٢٥) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٦٩. الطبري، تاريخه، ج ١، ص ١٩،

٢٠. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٣١٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج

٢، ص ٧٥. حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٨٩.

(١٢٦) انظر: الطبري، تفسيره، ج ١، ص ٢١٨. ابن كثير، البداية والنهاية،

ج ٢، ص ٧٥.

وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴿[المائدة].

ولقد جاهد عيسى عليه السلام في حياته ليحكم بين الناس بشرع الله ويلزمهم بالتوراة وتعرض بسبب ذلك للأذى من بني إسرائيل. (١٢٧)

حيث كان طيلة بقائه عليه السلام مهتداً من قبل يهود حيث حاولوا التخلص منه أكثر من مرة، كما وشوا به إلى الحاكم الروماني واتهموه بتهم باطلة، وساقوا شهود زور

(١٢٧) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، حيث ذكر عدد من المواقف التي تبين دفاع عيسى عن الشريعة، ص ٤٦٨.

لذلك، ودعوا لمحاكمته أكثر من مرة، حتى انتهى الأمر بهم للحكم بصلبه فنجاه الله منهم بمعجزة خارقة كما نجى إبراهيم عليه السلام.

عامّة الأنبياء:

خوف الله سبحانه وتعالى الكفرة من أقوام الأنبياء المختلفين، بأنهم لا يأمنون من غضب الله، وهددهم الله سبحانه وتعالى بأن يفقدوا أمنهم، وبين سبحانه أنه هو القادر على إعطاء الأمن، فإن هم كفروا فهم مهددون دائماً وأبداً بفقد أغلى ما لديهم وهو رضى الله سبحانه وتعالى وما يتبع ذلك من خوف وهلع، فإذا حل غضب الله بقوم فلا أمان لهم ولا بركة ولا طمأنينة، كما أن من يكفر بالله ورسله مهدد بالجوع والخوف والعذاب والذل والصغار وبتسليط بعضهم على بعض في الحياة الدنيا، وبالنار في الآخرة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٩٧) **أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ (٩٨) **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩٩) **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوِ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَّا******

يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ﴿[الأعراف].

وقد تعرضت العديد من الأمم لغضب الله وأليم عقابه ففقدوا الأمن والعز بل والحياة وتوعدهم الله بسوء العذاب يوم القيامة يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)﴾ [إبراهيم].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ

مُرِيْبٍ(٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى
قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ
لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ(١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
وَلَنَنْصُرَنَّ عَلَى مَا ءَادَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُتَوَكِّلُونَ(١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ
أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ(١٣) ﴿[إبراهيم].

لقد كان الكفار معاندين معتدين على أنبيائهم وعلى
أمنهم مؤذنين لهم، يقول تعالى عن حال أولئك لو آمنوا وما
يأتيهم من أمان وخير وبركة بسبب إيمانهم ورضا الله سبحانه
وتعالى عنهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٩٦)[الأعراف].

وضرب الله أمثلة للعديد من الأقوام المفسدين المعتدين
الذين أهلكوا أنفسهم يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

بَعَادٍ (٦) إِرِمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي
 الْبِلَادِ (٨) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي
 الْأُوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثُرُوا فِيهَا
 الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ
 لِبِالْمُرْصَادِ (١٤) ﴿[الفجر].

إن في هذه الآيات إشارة واضحة أن الله سبحانه وتعالى
 كان بالمرصاد للأمم السابقة بعامة نجى منهم من نجا وأهلك
 منهم من هلك وأنه سبحانه وتعالى بالمرصاد في كل حين
 للأمم المختلفة منذ عصر نبينا محمد ﷺ وإلى ما لانهاية فهو
 يحذر من غضبه وعقابه ويُذَكِّرُ أن من يأتي ما يغضب الله
 فهو قادر عليه ولا يعجزه شيء، ولا أمن له ولا أمان، حيث أنه
 تحت قدرة الله أينما كان.

ويؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
 كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
 فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
 كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢) [النحل].

الخاتمة

من قراءة تاريخ الأنبياء واستعراض حياتهم وتاريخهم وما مر بهم من أحداث نلاحظ أن نظرتهم إلى الأمن هي نظرة عامة مرتبطة بالإيمان بالله وأداء حقوقه، وتنفيذ شرعه ونظامه، بما فيه من حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم، كما أن الأنبياء عموماً جاءوا بمبدأ التشريع والتنظيم لحياة الناس وحفظ أنفسهم وأموالهم بما أوحى الله لهم من شرائع منذ آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام، كما نلاحظ وجود عدد من الحوادث المتعلقة بحياة الأنبياء منها حوادث قتل أو سرقة أو محاولات الاعتداء على الأعراس وغيرها، وقد دل القرآن الكريم من خلال تلك الحوادث على استخدام الأدلة والقرائن

والتحقيق في بعض تلك الجرائم، وجمع المعلومات المتعلقة بها للوصول إلى الحقيقة، والعقوبات التي تعرض لها من اعتدى على الآخرين، وكيف أن الله نصر المظلومين على من اعتدى عليهم وأجرم في حقهم، وكيف انتهت الأيام بحاجة المجرمين إلى من قاموا بالاعتداء عليهم، كما شملت تلك القصص حرص الأنبياء على تطهير المجتمعات البشرية من مختلف الجرائم المتعلقة بالشرف والمال والنفس بالإضافة إلى تطهير المجتمعات من الجريمة الكبرى وهي الشرك بالله، ولا بد لنا من قراءة كتاب الله والاستفادة مما ورد فيه في مختلف الجوانب، وكما نعلم فإن معظم القرآن آيات متعلقة بقصص الأنبياء، ولكن فيها العلم الذي لا غنى لأحد عنه مهما كان تخصصه، إذ أن تلك القصص تؤسس لمبادئ رئيسة في حياة الناس والمجتمعات البشرية، رصدها الله سبحانه وتعالى، وهو المراقب للبشر العالم بأحوالهم منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك ففيها التاريخ والعبرة لكل الأمم منذ القدم إلى ما لانهاية وأناي لا أدعي الإحاطة بهذا الموضوع فهو يحتاج مزيد بحث وعناية، وإنني أدعو الباحثين لمزيد من الدراسة لقضايا الأمن في حياة الأنبياء، كما أذكر أن ما

يتعلق بسيرة الرسول ﷺ يعدّ علماً مستقلاً بذاته له مصادره الخاصة واللّه المستعان.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
(١٩٤ - ٢٥٦هـ).

١ - صحيح البخاري، الرياض، دار إشبيلية، ١٤١٨هـ.
البدراوي: رشدي.

٢ - قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الأول، آدم - صالح،
القاهرة، ١٩٩٦م.

البلاءف: عاتق غفث.

٣ - معجم المعالم الجغرافية فف السفرة النبوة، ط١، مكة المكرمة، ءار مكة للنشر والتوزفء، ١٤٠٢هـ.

الترمءف: أبو عفسف محمد بن عفسف بن سورة (٢٠٩ - ٢٧٩هـ).

٤ - الجامع الصءفء (سنن الترمءف)، ءءقفق أءمء محمد شاكرا، بفروت، لبنان، ءار إءفاء التراث العربف، (ء.ء).

الءعلبف: أءمء بن محمد بن إبراهم.

٥ - قصص الأنفباء المسمف عرائس المءالس، القاهرة، شركة الشمرلف، ١٩٩٤م.

الءاسر: ءمء.

٦ - المعجم الجغرافف للبلاد السعوءفة (شمال المملكة)، القسم الءالء، الرفاض، ءار الفمامة للءرءمة والنشر (ء.ء).

الءمل: ءسن عز الءفن.

٧ - إن مثل عفسف عنء الله ءمءل آءم، ط١ بفروت، ءار الكءاب العربف، ١٤٠٤هـ.

الءلفسف: نواف صالح.

٨ - المنهج الاقتصادي في المكابيل والموازن لنبي الله شعيب عليه السلام، ط ٣، الرياض ١٤١٤هـ.

دعيس: الحمزة.

٩ - أكرم الناس (ملحمة شعرية)، القاهرة (د.ت).

ابن حنبل: الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).

١٠ - المسند، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

دروزة: محمد عزة.

١١ - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، بيروت لبنان، المكتبة العصرية، ١٣٨٩هـ.

دوح: حسن.

١٢ - ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ط ١، القاهرة، دار الصحوة، ١٤١٥هـ.

الراجحي: عبد الفني.

١٣ - آدم عليه السلام كما تحدث القرآن الكريم، القاهرة، مؤسسة مكة، (د.ت).

ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهم - كاتب الواقدي - (ت: ٢٣٠هـ).

- ١٤ - الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، (ب.ت).
السعدي: عبد الرحمن بن ناصر.
- ١٥ - قصص الأنبياء، ط ١، الرياض، مكتبة أصول
السلف، ١٤١٦هـ.
السندي: عبد القادر حبيب.
- ١٦ - الذهب المسبوك في تحقيق مرويات غزوة تبوك،
الكويت، مكتبة المعلا، ١٤٠٦هـ.
الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت: ٢٥٠هـ).
- ١٧ - فتح القدير، ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣هـ.
الصابوني: محمد علي.
- ١٨ - النبوة والأنبياء، ط ٢، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.
الصالحى الشامى: محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢هـ).
- ١٩ - سبل الهدى والرشاد في هدى خير العباد، ج ٥، تحقيق
فهيم محمد شلتوت وجودة عبد الرحمن هلال، ط ١،
القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠٤هـ.
طبارة: عفيف عبد الفتاح.
- ٢٠ - مع الأنبياء في القرآن الكريم، بيروت، دار العلم

للملايين، ١٩٩٣.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).

٢١ - تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

٢٢ - جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، بيروت،
دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.

عبود: عبد الغني.

٢٣ - أنبياء الله والحياة المعاصرة، القاهرة، دار الفكر
العربي، ١٩٧٨هـ.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩
- ٥٧١هـ).

٢٤ - تاريخ دمشق، نسخة مصورة من المخطوطات الأصلية،
المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٧هـ.

العطاس: هادون

٢٥ - عاد في التاريخ، ط ١، القاهرة، مكتبة حسان،
١٣٩٨هـ.

الفاكهي: أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (٢٧٩هـ تقريباً).

٢٦ - أخبار مكة، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش،
مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

أبو الفداء: المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود
(ت: ٧٣٢هـ).

٢٧ - المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود ديوب، ط ١،
بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

الفاقي: محمد.

٢٨ - قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، ط ٢، القاهرة مكتبة
وهبة، ١٤١٠هـ.

قطب: سيد.

٢٩ - في ظلال القرآن، ط ٤، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٧هـ.
ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ).

٣٠ - البداية والنهاية، ط ٣، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م.
كانترز: كينيث (وآخرون).

٣١ - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، لندن، جمعية
الإنجيل العالمية، ١٩٩٧م.

النجار: عبد الوهاب.

٣٢ - قصص الأنبياء، القاهرة، دار التراث (د.ت).

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت: ٢١٣هـ).

٣٣ - السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة (د.ت).

ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ).

٣٤ - سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٣هـ.

محمد: محمد عبد السلام.

٣٥ - بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ط ١، الكويت مكتبة الفلاح ١٤٠٠هـ.

مجموعة من العلماء.

٣٦ - المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعته المكتبة الإسلامية، استانبول، (د.ت).

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٥هـ).

٣٧ - مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط ٥، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣هـ.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ).

٣٨ - لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت).

مهران: محمد بيومي.

٣٩ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) بلاد العرب، الرياض، جامعة الإمام ٤٠٠هـ.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ).

٤٠ - معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

اليقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: ٢٨٢هـ).

٤١ - تاريخ اليقوبي، بيروت، دار صادر، ١٣٧٩هـ.